كيف تعصم نفسك من فتنة الشهوات

إعداد

أبي عبدالله فرسان بن مصلح الجلال المريسي

كل الحقوق محفوظة

١٤٣٩هـ

كيف تعصم نفسك
من
فتنة الشهوات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

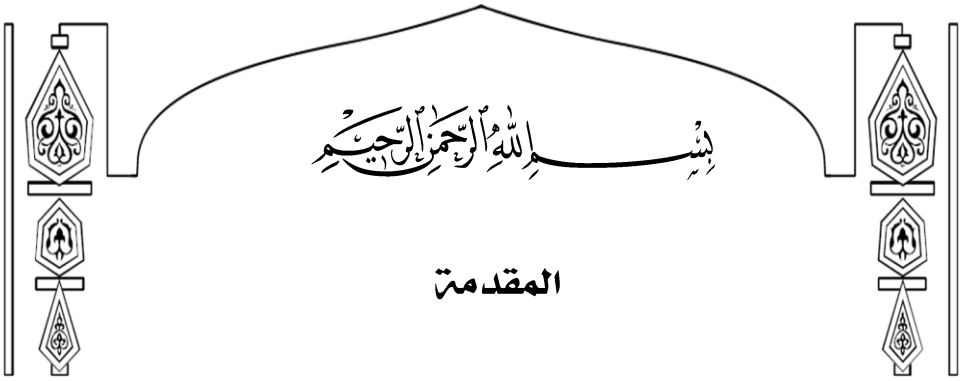

المقدمة

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

فنظرًا إلى طغيان الشهوات في هذا العصر الحاضر، وتفشيها، وانتشار وسائل الفتنة ، والإغراء ، وكثرة الدواعي والأسباب التي تهاجم المرء المسلم في كل مكان، سواء كان في بيته، أو في الشارع ، أو في السوق ، أو في قيامه ، أو في جلوسه أو غيرها من الأمكنة، واتسعت رقعتها حتى عمت الأرجاء والأقطار، وأفسدت بسُمّها المهلك كثيرًا من الأخلاق والأديان، وتسللت إلى كثير من الأفكار والآراء فأسكرت خمرة تلك الشهوات المحرمة الكثير من الناس، وأصبح الناظر إلى واقعنا يرى أنواعًا من التعلق بالشهوات والافتتان بها، فما أكثر المسلمين الذين أشربوا حب الشهوات من النساء وغيرها .

سواء كان ذلك عن طريق القنوات الفضائية المنحرفة أو الأزياء الإفرنجية الفاتنة، أو أدوات التواصل الاجتماعية الحديثة أو غيرها من السبل المضللة والطرق المهلكة الصادة عن سواء السبيل .

۞ وصدق ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ حين قال: فالعبد في هذه الدار مفتون بشهواته ونفسه الأمارة وشيطانه المغوي المزين وقرنائه، وما يراه ويشاهد مما يعجز صبره عنه، ويتفق مع

ذلك ضعف الإيمان واليقين وضعف القلب ومرارة الصبر وذوق حلاوة العاجل، وميل النفس إلى زهرة الحياة الدنيا، وكون العوض مؤجلا في دار أخرى غير هذه الدار التي خلق فيها، وفيها نشأ فهو مكلف بأن يترك شهوته الحاضرة المشاهدة لغيب طلب منه الإيمان به.[١] اهـ

ولا شك أن اتباع الشهوات والانكباب عليها يؤول إلى استيلائها على القلب، فيصير القلب عبدًا وأسيرًا لتلك الشهوات، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنَّ الْمُتَّبِعِينَ لِشَهَوَاتِهِمْ مِنْ الصُّوَرِ وَالطَّعَامِ وَالـشَّرَابِ وَاللِّبَاسِ يَسْتَوْلِي عَلَى قَلْبِ أَحَدِهِمْ مَا يَشْتَهِيهِ حَتَّى يَقْهَرَهُ وَيَمْلِكَهُ وَيَبْقَى أَسِيرًا، مَا يَهْوَاهُ يَصْرِفُهُ كَيْفَ تَصَرَّفَ ذَلِكَ الْمَطْلُوبُ وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: مَا أَنَا عَلَى الشَّابِّ التَّاسِكِ بِأَخْوَفَ مِنِّي عَلَيْهِ مِنْ سَبُعٍ ضَارٍ يَثِبُ عَلَيْهِ مِنْ صَبِيٍّ حَدَثٍ يَجْلِسُ إلَيْهِ.

وَذَلِكَ أَنَّ النَّفْسَ الصَّافِيَةَ الَّتِي فِيهَا رِقَّةُ " الرِّيَاضَةِ " وَلَمْ تَنْجَذِبْ إلَى مَحَبَّةِ اللَّهِ وَعِبَادَتِهِ انْجِذَابًا تَامًّا وَلَا قَامَ بِهَا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ التَّامَّةِ مَا يَصْرِفُهَا عَنْ هَوَاهَا مَتَى صَارَتْ تَحْتَ صُورَةٍ مِنْ الصُّوَرِ اسْتَوْلَتْ تِلْكَ الصُّورَةُ عَلَيْهَا كَمَا يَسْتَوْلِي السَّبُعُ عَلَى مَا يَفْتَرِسُهُ؛ فَالسَّبُعُ يَأْخُذُ فَرِيسَتَهُ بِالْقَهْرِ وَلَا تَقْدِرُ الْفَرِيسَةُ عَلَى الِامْتِنَاعِ مِنْهُ كَذَلِكَ مَا يُمَثِّلُهُ الْإِنْسَانُ فِي قَلْبِهِ مِنْ الصُّوَرِ الْمَحْبُوبَةِ تَبْتَلِعُ قَلْبَهُ وَتَقْهَرَهُ فَلَا يَقْدِرُ قَلْبُهُ عَلَى الِامْتِنَاعِ مِنْهُ فَيَبْقَى قَلْبُهُ مُسْتَغْرِقًا فِي تِلْكَ الصُّورَةِ أَعْظَمَ مِنْ اسْتِغْرَاقِ الْفَرِيسَةِ فِي جَوْفِ الْأَسَدِ؛ لِأَنَّ الْمَحْبُوبَ الْمُرَادَ هُوَ غَايَةُ النَّفْسِ لَهُ عَلَيْهَا سُلْطَانٌ قَاهِرٌ. وَ " الْقَلْبُ " يَغْرَقُ فِيمَا يَسْتَوْلِي عَلَيْهِ: إمَّا مِنْ مَحْبُوبٍ وَإِمَّا مِنْ مَخُوفٍ كَمَا يُوجَدُ مِنْ مَحَبَّةِ الْمَالِ وَالْجَاهِ وَالصُّوَرِ، وَالْخَائِفُ مِنْ غَيْرِهِ يَبْقَى قَلْبُهُ وَعَقْلُهُ مُسْتَغْرِقًا فِيهِ كَمَا يَغْرَقُ الْغَرِيقُ فِي الْمَاءِ.[٢]

---

(١) "مختصر إغاثة اللهفان" (٣٣٥).

(٢) "مجموع الفتاوى" (١٠/٥٩٤، ٥٩٥).

❁ وقد قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من لزم الشهوات لزمته عبودية أبناء الدنيا.[١]

وإذا كان الإفراط والانهماك في الشهوات مذمومًا شرعـًا، كما قال عز وجل:{فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَياً} [مريم: ٥٩]، فكذلك اتباع الشهوات مذموم عقلاً؛ فإن العاقل البصير ينظر في عواقب الأمور، فلا يُؤْثِرُ العاجلة الفانية على الآخرة الباقية.

❁ يقول ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اعلم أن مطلق الهوى يدعو إلى اللذة الحاضرة من غير فكر في عاقبة، ويحث على نيل الشهوات عاجلاً، وإن كانت سببًا للألم والأذى في العاجل، ومنع لذّات في الآجل.

فأما العاقل فإنه ينهى نفسه عن لذةٍ يعقبها ألم، وشهوة تُورث ندماً، وكفى بهذا القدر مدحًا للعقل وذمًا للهوى.

وإذا عرف العاقل أن الهوى يصير غالباً، وجب عليه أن يرفع كل حادثة إلى حاكم العقل؛ فإنه سيشير عليه بالنظر في المصالح الآجلة، ويأمره عند وقوع الشبهة باستعمال الأحوط في كف الهوى، إلى أن يتيقن السلامة من الشر في العاقبة.[٢]

ولكن مع انتشار دواعي الشهوات والانهماك في مستنقعات الشهوة ورعونات النفس، خاصة الشباب، فإن هناك -ولله الحمد- وسائل شرعية شريفة يستطيع المرء أن يعتصم بها ويشد يده عليها حتى لا يغرق في بحار الشهوات المتلاطمة، وحتى لا ينجرف في مهاوي الزيغ والضلال المهلكة، ويتمكن من ضبط النفس أمام الشهوات ، وقد ثبت في "صحيح البخاري"[٣] من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء**» .

---

(١) "سير أعلام النبلاء" (٩٧/١٠).

(٢) "ذم الهوى" لابن الجوزي، (ص٣٦)، باختصار.

(٣) برقم (٥٣٥٤).

وفي "صحيح مسلم"[١] من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ : «**لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله**».

وفي "مسند الإمام أحمد"[٢] من حديث أسامة بن شريك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**إن الله لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء علمه من علمه وجهله من جهله**» وفي لفظ[٣]: «**إن الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء أو دواء إلا داء واحدا**»، قالوا: يا رسول الله ما هو؟ قال: «**الهرم**» قال الترمذي هذا حديث صحيح[٤] وهذا يعم أدواء القلب والروح والبدن وأدويتها. اهـ[٥]

إذا تبين هذا فهذه بعض المحاولات الهادفة إن شاء الله لتسليط الأضواء على بعض الأدواء الحاضرة أدواء الحقارات والسموم القاتلة التي استحكمت بأفئدة كثير من الناس وعقولهم والتي يشيعها من يريدون نشر الرذيلة بين المؤمنين والمؤمنات قال الله سبحانه وتعالى :﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٢٧].

۞ قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ : الشبهات والشهوات أصل فساد العبد وشقائه في معاشه ومعاده.[٦]

وإن المتأمل في أحوال المسلمين اليوم ، فضلًا عمن دونهم يرى سُعارًا تجاه هذه

---

(١) برقم(٢٧٧٤).

(٢) (٢٧٨/٤) والحديث صحيح بشواهده قاله العلامة الألباني : في "السلسلة الصحيحة"(١ / ٧٣٥).

(٣) للترمذي (٢٠٣٨).

(٤) وصححه أيضا العلامة الألباني : في "صحيح الترمذي" (٢٠٣٨) وقال شيخنا مقبل الوادعي في "الصحيح المسند"(٢٠) حديث صحيح على شرط الشيخين .

(٥) من "الداء والدواء" (١٦) ط : الصفا .

(٦) "مفتاح دار السعادة" (٤٠/١).

الشهوات، وولوغًا في مستنقعاتها الآسنة، فما أكثر المسلمين العاكفين على متابعة الأطباق الفضائية وشبكات (الإنترنت) ، وقد سمّروا أعينهم في سبيل ملاحقة برامج الفحش، وما أكثر الذين يشدّون رحالهم إلى بلاد الكفر والفجور في سبيل تلبية شهواتهم المحرمة، والله المستعان.

لقد تكالب شياطين الإنس والجن مع النفوس الأمّارة بالسوء على إفساد عفاف المسلمين وأخلاقهم، وهذا أحد أقطاب المستعمرين يقول:"كأس وغانية تفعلان في تحطيم الأمة المحمدية أكثر مما يفعله ألف مدفع، فأغرِقوها في حب المادة والشهوات.

❁ وقال أحد كبراء الماسونية: "يجب علينا أن نكسب المرأة، فأي يوم مدت إلينا يدها فُزْنا بالحرام، وتَبدَّد جيش المنتصرين للدين".

❁ وجاء في "بروتوكولات حكماء صِهْيُون":يجب أن نعمل لتنهار الأخلاق في كل مكان، فتسهل سيطرتنا، إن "فرويد" منا، وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس لكي لا يبقى في نظر الشباب شيء مقدس، ويصبح همه الأكبر هو إرواء غريزته الجنسية، وعندئذ تنهار أخلاقه. اهـ

لذلك كان لا بد للمسلم من الانتباه والحذر التام وأن ينئ بنفسه عن الفتن ويتعرف على الأسباب المنجية منها وهي كثيرة وفيرة بحمد الله .

وقد اشتملت هذه الرسالة على بعض الأدوية الناجعة والطرق النافعة بالأدلة الثابتة من الكتاب والسنة وكلام العلماء المعتبرين، القاضية ببيان ذلك ليجد المسلمون فيها -إن شاء الله- ما فيه إمتاعا لعقولهم، وصقلا لأذهانهم ، وحتى تطمئن إليها القلوب المؤمنة التي استجابت لداعي الحق والهدى ، وتجد فيها زادا لإيمانها ، ونورا لبصائرها ، وكفا عن مساوئها ، وقمعا لشهواتها ، وحادية لها إلى طريق السلامة والأمان، [نشرا للضمانات التي

تكف عنها العثار والتعثر في مثاني[١]] السير إلى الله من التموجات الشهوانية ، والرعونات النفسانية والشهوات البهيمية ، التي يسعى في تذليل سبلها زعماء الباطل ورموز الشر والفساد ، لتذويب محاسن الأخلاق التي جاء بها الإسلام ، وطمس معالم الحق والحياء ، في أنكى مكيدة وأخبث طريقه بمؤامرات عديدة وتخطيطات مدروسة كبيرة ومعاول للهدم خطيرة يسعون فيها ويسارعون إليها سحاء الليل والنهار لا بلغهم الله ما يريدون ولا أوصلهم إلى ما يفكرون.

ولعل من المناسب أن نتحدث ابتداءً عن الموقف الصحيح تجاه الشهوات إجمالًا قبل الحديث عن علاج بعض أفرادها تفصيلاً.

إن المسلك العدل إزاء الشهوات وسط بين مسلك أهل الفجور والفواحش ومسلك أصحاب الرهبانية والتشدد؛ فأهل الفجور أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات؛ وأهل الرهبانية حرّموا ما أحل الله من الطيبات.

ودين الله عز وجل يراعي أحوال الناس، ويدرك ما هم عليه من الغرائز والشهوات؛ لذا فهو يبيحها ويعترف بها، لكنه يضبطها ويهذبها.

۞ يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ مقررًا هذه الوسطية: ولما كان العبد لا ينفك عن الهوى ما دام حيًا ؛ فإن هواه لازم له كان له الأمر بخروجه عن الهوى بالكلية كالممتنع ولكن المقدور له والمأمور به أن يصرف هواه عن مراتع الهلكة إلى مواطن الأمن والسلامة ، مثاله أن الله سبحانه وتعالى لم يأمره بصرف قلبه عن هوى النساء جملة بل أمره بصرف ذلك الهوى إلى نكاح ما طاب له منهن من واحدة إلى أربع ومن الإماء ما شاء ؛ فانصرف مجرى الهوى من محل إلى محل وكانت الريح دبورا فاستحالت صبًا. [٢]

---

(١) "حلية طالب العلم" (ص٣).

(٢) "روضة المحبين" (ص١١) وانظر: "ذم الهوى" لابن الجوزي، (ص ٣٥).

هذا وقد رأيت أن تكون هذه الرسالة المباركة -إن شاء الله- وسطا لا غاية في البسط ولا نهاية في الإيجاز لأن عزائم الكثيرين قد فترت عن قراءة المطولات.[١]

والله -جلت قدرته- أسأل أن يكون لي نعم العون على ما أنا بسبيله من ذلك ، وأن يشرح لي صدري وييسر لي أمري إنه واهب النعم ومونيها وهو نعم المولى ونعم النصير ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

العواصم المنجية بإذن الله

تقوى الله عز وجل

تقوى الله عز وجل هي مجمع أسباب النجاة والفلاح، قال الله تعالى : ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ [الطلاق : ٢-٣] ، أي يجعل له مخرجا من كل فتنة وبلية وشر وشقاء في الدنيا والآخرة.

وروى الإمام أحمد[٢] والترمذي[٣] عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : كنت خلف رسول الله ﷺ يوما فقال : « **يا غلام ! إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك**»[٤]، وهذه وصية عظيمة النفع جليلة القدر.

---

(١) ومن باب رد المعروف إلى أهله فلقد استفدت بعض الجمل والنقاط من بعض الآلات الحديثة كالكمبيوتر وإنما نبهت على ذلك ؛ لأن الأمانة العلمية تقتضيه ولم أجعل لهذه الرسالة مراجع لكثير مما استفدته من تلك المواضع لصعوبة ذلك أولاً ، وتخفيفًا على القارئ وتسهيلا له ثانيا ليكون فكره متصلًا بالقراءة بدون كثرة مشوشات والغرض هو الفائدة والله من وراء القصد ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

(٢) (٢٩٣/١)

(٣) برقم(٢٥١٦).

(٤) الحديث صححه العلامة المحدث الألباني رحمه الله في "المشكاة" (٥٣٠٢) ، وقال شيخنا مقبل الوادعي رحمه الله في "الجامع الصحيح" (٢٦): حديث صحيح لغيره.

❁ قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : فأما الملازم لطريق التقوى فلا آفة تطرقه و لا بلية تنزل به هذا هو الأغلب . اهـ[١]

❁ وقال الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ : فأوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى في السر والعلانية، فهي العدة، وهي مهبط الفضائل، ومتنزل المحامد، وهي مبعث القوة، ومعراج السمو، والرابط الوثيق على القلوب عن الفتن، فلا تفرطوا.اهـ[٢]

فاللَّهُمَّ إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى. [٣]

دوام مراقبة الله تعالى في السر والعلن

ومن العواصم دوام مراقبة الله تعالى في السر والعلن ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴾ [العلق: ١٤]، و قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الشعراء: ٢١٧ – ٢١٩].

❁ قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : و المراقبة هي: دوام علم العبد وتيقنه باطلاع الحق سبحانه وتعالى على ظاهره وباطنه، فاستدامته لهذا العلم واليقين بذلك هي المراقبة وهي ثمرة علمه بأن الله سبحانه رقيب عليه ناظر إليه سامع لقوله وهو مطلع على عمله كل وقت وكل لحظة وكل نفس وكل طرفة عين ومن راقب الله في خواطره عصمه الله في حركات جوارحه. اهـ بتصرف[٤]

❁ وقال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ : راود رجل امرأة في فلاة ليلا فأبت، فقال لها: ما يرانا إلا

---

(١) "صيد الخاطر" (ص١٣٢) ط دار الحديث – القاهرة .

(٢) "حلية طالب العلم" (ص٨) .

(٣) ❁ تنبيه : ربما تلاحظ أيها القارئ الكريم من خلال ما سيمر بك في هذه الرسالة تكرار بعض المعاني والنقاط في قوالب شتى وأساليب متنوعة وهذا متعمد مقصود لتثبت المعلومة بأكثر من طرح والله الموفق .

(٤) "مدارج السالكين" (١/٤٨٢) مؤسسة المختار.

الكواكب! قالت: فأين مكوكبها؟!. اهـ[١] أي ألا يرانا ، وكفى بهذا زاجرًا ورادعًا.

❁ قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : أجمع العلماء على أنه [يعني: رقابة الله] أكبر واعظ وأعظم زاجر نزل من السماء إلى الأرض وضربوا لذلك مثلا- ولله المثل الأعلى- قالوا لو فرض أن هذا البراح من الأرض فيه ملك قتال للرجال إن انتهكت حرماته ذو قوة وعزة ومنعة وحوله جيوشه وحول هذا الملك بناته ونساؤه وجواريه أيخطر ببال أحد من الحاضرين مجلس هذا الملك أن يقوم بريبة؟ ولو قيل لأهل بلد: إن أمير ذلك البلد يبيت عالما بكل ما يفعلونه في الليل من الخسائس لباتوا متأدبين .

وهذا خالق السموات والأرض الملك الجبار يخبرهم في آيات كتابه لا تكاد تقلب ورقة واحدة من أوراق المصحف الكريم إلا وجدت فيها هذا الواعظ الأكبر والزاجر الأعظم ، ﴿ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ البقرة: ٢٩ ، ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ البقرة: ٢٣٤ ، ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ النحل: ١٩ ، ﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا ﴾ الأنعام: ٥٩ ، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ﴾ ق: ١٦ ، ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ﴾ البقرة: ٢٣٥، ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ يونس: ٦١ .

فينبغي علينا جميعًا أن نعتبر بهذا الزاجر الأكبر والواعظ الأعظم وأن لا نتناساه لئلا نهلك أنفسنا. اهـ[٢]

❁ قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ : أكره رجل امرأة على نفسها وأمرها بغلق الأبواب، فقال لها: هل بقي باب لم يغلق؟! قالت: نعم الباب الذي بيننا وبين الله تعالى ، فلم يتعرض لها .

---

(١) "شرح كلمة الإخلاص" (ص٤٩).

(٢) "العذب النمير"(١/٣٣٣-٣٣٤) بتصرف .

ورأى بعض العارفين رَحِمَهُ ٱللَّهُ رجلا يكلم امرأة فقال: إن الله يراكما سترنا الله وإياكما. اهـ[١]

ولاحظ جيدًا قول الله تعالى:﴿ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﴾ [غافر:١٩].

۞ قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معنى الآية: يخبر تعالى عن علمه التام المحيط بجميع الأشياء، جليلها وحقيرها، صغيرها وكبيرها، دقيقها ولطيفها؛ ليحذر الناس علمه فيهم، فيستحيوا من الله حَقّ الحياء، ويَتَّقُوهُ حق تقواه، ويراقبوه مراقبة من يعلم أنه يراه، فإنه تعالى يعلم العين الخائنة وإن أبدت أمانة، ويعلم ما تنطوي عليه خبايا الصدور من الضمائر والسرائر. اهـ[٢]

وهنا أسوق لك ثمرة ثمينة جدا معجلة من ثمار المراقبة:

۞ قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : إن للخلوة تأثيرات تبين في الجلوة، كم من مؤمن بالله عز وجل يحترمه عند الخلوات فيترك ما يشتهي حذرًا من عقابه، أو رجاء لثوابه، أو إجلالًا له، فيكون بذلك الفعل كأنه طرح عودًا هنديًا على مجمر فيفوح طيبه فيستنشقه الخلائق ولا يدرون أين هو.

وعلى قدر المجاهدة في ترك ما يهوى تقوى محبته، أو على مقدار زيادة دفع ذلك المحبوب المتروك يزيد الطيب، ويتفاوت تفاوت العود. فترى عيون الخلق تعظم هذا الشخص وألسنتهم تمدحه ولا يعرفون لم. ولا يقدرون على وصفه لبعدهم عن حقيقة معرفته.

وقد تمتد هذه الأرابيح بعد الموت على قدرها، فمنهم من يذكر بالخير مدة مديدة ثم ينسى، ومنهم من يذكر مائة سنة ثم يخفى ذكره ، ومنهم أعلام يبقى ذكرهم أبداً.

---

(١) "شرح كلمة الإخلاص" (ص ٤٩) .

(٢) "تفسير ابن كثير" (١٢٧/٧) ، وانظر "فقه الأسماء الحسنى" (ص١٦٤).

وعلى عكس هذا من هاب الخلق، ولم يحترم خلوته بالحق؛ فإنه على قدر مبارزته بالذنوب وعلى مقادير تلك الذنوب، يفوح منه ريح الكراهة فتمقته القلوب، فإن قل مقدار ما جنى قل ذكر الألسن له بالخير، وبقي مجرد تعظيمه.

وإن كثر كان قصارى الأمر سكوت الناس عنه لا يمدحونه ولا يذمونه، ورب خال بذنب كان سبب وقوعه في هوة شقوة في عيش الدنيا والآخرة وكأنه قيل له: ابق بما آثرت فيبقى أبدًا في التخبيط.

فانظروا إخواني إلى المعاصي أثرت وعثرت.

۞ قال أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «إن العبد ليخلو بمعصية الله تعالى فيلقي الله بغضه في قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر». (١)

فتلمحوا ما سطرته، واعرفوا ما ذكرته. ولا تهملوا خلواتكم ولا سرائركم، فإن الأعمال بالنية، والجزاء على مقدار الإخلاص . اهـ (٢)

فاللَّهُمَّ إنا نسألك خشيتك في الغيب والشهادة .

الخوف من اللّه تعالى

ومما يعصمك أيضا من الوقوع في الشهوات المحرمة الخوف من الله ، ومن عقابه الأليم العظيم المهين الشديد .

۞ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : فَمَا حَفِظَتْ حُدُودَ اللَّهِ وَمَحَارِمَهُ وَوَصَلَ الْوَاصِلُونَ إلَيْهِ بِمِثْلِ خَوْفِهِ وَرَجَائِهِ وَمَحَبَّتِهِ فَمَتَى خَلَا الْقَلْبُ مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثِ فَسَدَ فَسَادًا لَا يُرْجَى صَلَاحُهُ أَبَدًا وَمَتَى ضَعُفَ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ ضَعُفَ إيمَانُهُ بِحَسَبِهِ (٣) لأن الخوف

---

(١) "حلية الأولياء" (٢١٥/١) .

(٢) "صيد الخاطر" (ص١٨٥) .

(٣) "مجموع الفتاوى" (٢١/١٥).

سوط الله يسوق به عباده إلى المواظبة على فعل الواجبات وترك المحرمات لينالوا بذلك رتبة القرب من الله تعالى... وأقل درجات الخوف مما يظهر أثره في الأعمال، أن يمنع المحظورات.(١)

۞ قال ابنُ رَجَب رَحِمَهُ ٱللَّهُ : والقدرُ الواجبُ مِن الخَوفِ مَا حَمَلَ عَلَى أداءِ الفَرائضِ وَاجتنابِ المَحَارِمِ ؛ فَإنْ زَادَ عَلَى ذَلكَ بحيث صَارَ بَاعِثًا للنّفوسِ عَلَى التشميرِ في نوافل الطاعاتِ وَالانكفافِ عَنْ دقائق المكروهاتِ وَالتبسطِ في فُضولِ المُبَاحاتِ كَانَ ذَلكَ فَضْلًا مَحْمودًا ، فَإنْ تَزايدَ عَلَى ذَلكَ بأنْ أورثَ مَرَضًا أوْ مَوتًا أوْ هَمًّا لازما بحيث يَقْطعُ عَنْ السّعي في اكتسابِ الفضائلِ المطلوبةِ المحبوبةِ لله عز وجل لم يكنْ مَحْمودًا ... ، والمقصودُ الأصلي هُوَ طاعةُ الله عز وجل وَفعل مراضيه ومحبوباته ،وترك مناهيه ومكروهاته ، وَلا نُنكر أنَّ خشيةَ اللهِ وَهيبته وعظمته في الصدور وإجلاله مقصودٌ أيضًا ، ولكن القدر النافع من ذلكَ مَا كَانَ عونًا عَلى التقرب إلى الله بفعل ما يحبه ، وترك ما يكرههُ ، وَمَتى صَارَ الخوفُ مانعًا مِنْ ذلكَ وقاطعًا عنه فَقد انعكس المقصود منه ، وَلكنْ إذَا حَصَلَ ذَلكَ عَنْ غَلَبة كَانَ صاحبه مَعْذورًا . اهـ(٢)

وقف وتأمل في عبارة شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ البديعة : كل عاص لله فهو جاهل، وكل خائف منه فهو عالم مطيع.(٣)

وأخيرًا تأمل مليًا وقف طويلاً عند هاتين الآيتين اللتين فيهما بيان ما أعد الله لمن حقق مقام الخوف منه ، قال تعالى : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ الرحمن: ٤٦

ثم فصل تلك الجنتين وما فيهما من أصول النعم كما في سورة الرحمن، وقال تعالى :

---

(١) "مختصر منهاج القاصدين" ص٢٨٧ لابن قدامه بتصرف .

(٢) "التخويف من النار" (ص ٢٠) .

(٣) "مجموع الفتاوى" (٢٢/٧).

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ النازعات: ٤٠ - ٤١

فأكرم به من ثواب وأنعم به من عطاء نسأل الله من فضله .

فاللّٰهُمَّ يا رب العالمين ويا مقلب القلوب! ثبت قلوبنا على دينك واقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك .

رجاء ثواب اللّه تعالى

ومن العواصم رجاء ثواب الله تعالى فيرجو ثوابَ الله على صبره على ترك المحارم وترفعه عن المآثم وعلى المجاهدة لنفسه وشيطانه وهواه وإن ثقل ذلك على النفس فاستحضار الثواب يدفع إلى الترك قال تعالى في قصة قارون: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴾ إلى قوله تعالى:﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص ٧٩-٨٣] وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه١٣١] .

فمن وفقه الله للكف عن ما حرم الله إيمانا واحتسابا فسيرى آثارَه الحسنة في دنياه، وسيَرى النتائجَ الطيّبة والآثار المباركة يومَ لقاء الله، يرى تلك وقد صارت سببًا لخلاصِه من عذابِ الله وفوزه بجنّة الله وكرامته. فتفطن لهذا الأمر المهم ،وليكن حاضرا في ذهنك واحرص أن تكون ذا عزيمة قوية لا يَفُلُّها الحديد في ترك الشهوات المحرمة، فلن يضيعَ عند الله عمل، كما قال تعالى : ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ ﴾ [آل عمران:١٩٥]، فتنتفع بها أحوجَ ما تكون إليها، ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا ﴾ [آل عمران:٣٠]، ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة:٧، ٨].

فاستحضار ثواب الله وما وعَدَ المطيعين من الثوابِ والعطاء الجزيل يسهل عليك

جدا ترك الشهوة المحرمة قال تعالى :﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ الكهف: ٣٠ ، نسأل الله العون والتوفيق.

الحياء من الله جلت عظمته

ومن العواصم التي تقي العبد من الشهوات المحرمة: الحياء من الله -جلت عظمته- أن يراك على معصية وقد جاء عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : «**اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ، مَنِ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ فَلْيَحْفَظِ الرَّأْسَ وَمَا حَوَى ، وَلْيَحْفَظِ الْبَطْنَ وَمَا وَعَى ، وَلْيَذْكُرِ الْمَوْتَ وَالْبِلَى ، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدِ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ**». أخرجه أحمد ، والترمذي[١].

❁ قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ في "فيض القدير": في قوله ﷺ : استحيوا من الله حق الحياء: بترك الشهوات والنهمات وتحمل المكاره على النفس.

❁ وقوله : « وليحفظ البطن وما حوى» : أي وما جمعه باتصاله من القلب والفرج واليدين والرجلين فإن هذه الأعضاء متصلة بالجوف فلا يستعمل منها شيئا في معصية الله فإن الله ناظر في الأحوال كلها إلى العبد لا يوازيه شيء. اهـ[٢] وجاء رجل إلى النبي ﷺ فقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْصِنِي! قَالَ: «**أُوصِيكَ أَنْ تَسْتَحْيِيَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كَمَا تَسْتَحْي رَجُلًا مِنْ صَالِحِي قَوْمِكَ**» .[٣]

❁ قال بعض السلف: خف الله على قدر قدرته عليك، واستح منه على قدر قربه منك .[٤]

---

(١) وحسنه الشيخ الألباني في "صحيح الجامع" برقم :(٩٣٥).

(٢) "فيض القدير"(٤٨٧/١).

(٣) الحديث جوده العلامة الالباني رحمه الله في "الصحيحة" (٧٤١).

(٤) أخرجه: أبو نعيم في "الحلية"(١٤٠/٨).

❁ وقال محمد بن نصر المروزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : إِذَا ثَبَتَ تَعْظِيمُ اللَّهِ فِي قَلْبِ الْعَبْدِ أَوْرَثَهُ الْحَيَاءَ مِنَ اللَّهِ وَالْهَيْبَةِ لَهُ فَغَلَبَ عَلَى قَلْبِهِ ذِكْرُ اطِّلَاعِ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَنَظَرِهِ بِعَظَمَتِهِ وَجَلَالِهِ إِلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَجَوَارِحِهِ، وَذِكْرُ الْمَقَامِ غَدًا بَيْنَ يَدَيْهِ وَسُؤَالِهِ إِيَّاهُ عَنْ جَمِيعِ أَعْمَالِ قَلْبِهِ وَجَوَارِحِهِ، وَذِكْرُ دَوَامِ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِ، وَقِلَّةِ الشُّكْرِ مِنْهُ لِرَبِّهِ فَإِذَا غَلَبَ ذِكْرُ هَذِهِ الْأُمُورِ عَلَى قَلْبِهِ هَاجَ مِنْهُ الْحَيَاءُ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَحيَى من اللَّهَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَى قَلْبِهِ وَهُوَ مُعْتَقِدٌ لِشَيْءٍ مِمَّا يَكْرَهُ، أَوْ عَلَى جَارِحَةٍ مِنْ جَوَارِحِهِ، يَتَحَرَّكُ بِمَا يَكْرَهُ فَطَهَّرَ قَلْبَهُ مِنْ كُلِّ مَعْصِيَةٍ، وَمَنَعَ جَوَارِحَهُ مِنْ جَمِيعِ مَعَاصِيهِ. اهـ(١)

❁ ويقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "مدارج السالكين" : إِنَّ الْعَبْدَ مَتَى عَلِمَ أَنَّ الرَّبَّ تَعَالَى نَاظِرٌ إِلَيْهِ أَوْرَثَهُ هَذَا الْعِلْمُ حَيَاءً مِنْهُ. يَجْذِبُهُ إِلَى احْتِمَالِ أَعْبَاءِ الطَّاعَةِ، مِثْلَ الْعَبْدِ إِذَا عَمِلَ الشُّغْلَ بَيْنَ يَدَيْ سَيِّدِهِ، فَإِنَّهُ يَكُونُ نَشِيطًا فِيهِ، مُحْتَمِلًا لِأَعْبَائِهِ. وَلَا سِيَّمَا مَعَ الْإِحْسَانِ مِنْ سَيِّدِهِ إِلَيْهِ، وَمَحَبَّتِهِ لِسَيِّدِهِ. بِخِلَافِ مَا إِذَا كَانَ غَائِبًا عَنْ سَيِّدِهِ. وَالرَّبُّ تَعَالَى لَا يَغِيبُ نَظَرُهُ عَنْ عَبْدِهِ. وَلَكِنْ يَغِيبُ نَظَرُ الْقَلْبِ وَالْتِفَاتُهُ إِلَى نَظَرِهِ سُبْحَانَهُ إِلَى الْعَبِيدِ. فَإِنَّ الْقَلْبَ إِذَا غَابَ نَظَرُهُ، وَقَلَّ الْتِفَاتُهُ إِلَى نَظَرِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَيْهِ: تَوَلَّدَ مِنْ ذَلِكَ قِلَّةُ الْحَيَاءِ وَالْقِحَةُ. اهـ(٢)

❁ وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه "الجواب الكافي"(٣): الْحَيَاءُ مُشْتَقٌّ مِنَ الْحَيَاةِ، فَمَنْ لَا حَيَاءَ فِيهِ فَهُوَ مَيِّتٌ فِي الدُّنْيَا شَقِيٌّ فِي الْآخِرَةِ، وَبَيْنَ الذُّنُوبِ وَبَيْنَ قِلَّةِ الْحَيَاءِ وَعَدَمِ الْغَيْرَةِ تَلَازُمٌ مِنَ الطَّرَفَيْنِ، وَكُلٌّ مِنْهُمَا يَسْتَدْعِي الْآخَرَ وَيَطْلُبُهُ حَثِيثًا، وَمَنِ اسْتَحْيا مِنَ اللَّهِ عِنْدَ مَعْصِيَتِهِ، اسْتَحْيا اللَّهُ مِنْ عُقُوبَتِهِ يَوْمَ يَلْقَاهُ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَحِ مِنْ مَعْصِيَتِهِ لَمْ يَسْتَحِ اللَّهُ مِنْ عُقُوبَتِهِ .اهـ

---

(١) ينظر : "تعظيم قدر الصلاة" باب الحياء من الإيمان .

(٢) (٢٥٣/١).

(٣) (ص ٩٥) .

ورحم الله القائِل:

هــبِ البعــثَ لــم تأتِنــا رُسْــلُه وجَاحِمَــــةُ النـــارِ لـــم تُضْـــرمِ

ألــيسَ مــنَ الواجِــبِ المُسْــتَحِقِّ حيـــاءُ العبـــادِ مـــن المُـــنْعِمِ(١)

والقائل:

وإذا خلـــوتَ بِريبـــةٍ في ظُلْمَـــةٍ والنَّفْـــسُ داعيـــةٌ إلى الطُغْيـــانِ

فاســتحي مــن نظــرِ الإلهِ وقُــلْ لهــا إنَّ الذي خلـــقَ الظـــلامَ يَـــرَاني

و الأسود بن يزيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ لَمَّا احْتُضِرَ بَكَى فَقِيْلَ لَهُ: ما هذا الجزع؟ فقال: مَا لِي لاَ أَجْزَعُ، وَاللهِ لَوْ أُتُيْتُ بِالمَغْفِرَةِ مِنَ اللهِ لأَهَمَّنِي الحَيَاءُ مِنْهُ مِمَّا قَدْ صَنَعْتُ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَكُوْنُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ آخَرَ الذَّنْبُ الصَّغِيْرُ فَيَعْفُو عَنْهُ فَلاَ يَزَالُ مُسْتَحِيًا مِنْهُ.(٢)

۞ وقال الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ : لو لم نبك إلا من الحياء من ذلك المقام؛ لكان ينبغي لنا أن نبكي فنطيل البكاء.(٣)

وأنشد أحدهم عند الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال:

إِذَا مَـــــا قَـــــالَ لي رَبِّي أَمَـــــا اسْـــــتَحْيَيْتَ تعْصِـــــيني

وَتُخْـــفِي الذَّنـــبَ مِـــن خَلْـــقِي وَبالعِصْـــــــيانِ تَـــــــأْتِيني

فأمر الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ بإعادتهما، ثم دخل داره وجعل يرددها وهو يبكي.(٤)

وجاء عَنِ الْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أَنَّهُ وَقَفَ بِعَرَفَةَ وَالنَّاسُ يَدْعُونَ وَهُوَ يَبْكِي بُكَاءَ الثَّكْلَى الْمُحْتَرِقَةِ، فَلَمَّا كَادَتِ الشَّمْسُ أَنْ تَسْقُطَ قَبَضَ عَلَى لِحْيَتِهِ ثُمَّ رَفَعَ

---

(١) "مفتاح دار السعادة"(٨٩/٢) .

(٢) "صفوة الصفوة" (١٤/٢) .

(٣) "مجموع رسائل ابن رجب" (٣٧٤/٣).

(٤) "ذيل طبقات الحنابلة" (٢٩٩/١).

رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ: وَاسَوْأَتَاهْ مِنْكَ وَإِنْ عَفَوْتَ ! [١]

❁ وكان مالك بن دينار يقول : ما عاقب الله تعالى قلبًا بأشد من أن يسلب منه الحياء فالله المستعان.

معرفة عواقب اللذات المحرمة

ومن العواصم التي تعصمك من فتنة الشهوات: العلم بما تعقبه اللذة المحرمة من المضار والمفاسد في الدنيا والآخرة.

أما في الدنيا فمن شؤمها ونتائجها المرة على الفرد: قلةُ التوفيق، وفسادُ الرأي، وخفاءُ الحقِّ، وفسادُ القلبِ، وخُمولُ الذِّكْر، وإضاعةُ الوقت، ونفرةُ الخلق، والوحشةُ بين العبد وبين ربِّه، ومنع إجابة الدعاء، وقسوة القلب، ومحقُ البركة في الرزق والعمر، وحرمان العلم، ولباس الذُّلِّ، وإهانةُ العدوِّ، وضيقُ الصدر، والابتلاءُ بقُرَناءِ السوء الذين يفسدون القلب ويضيعون الوقت، وطول الهمِّ والغمِّ ، وضنْكُ المعيشة، وكسفُ البال....[٢]

وهنا لا بد أن يعلم العبد أن الصبر عن الشهوات وما فيها من الإغراء والبريق والافتتان أيسر من الصبر على عواقب الشهوات وآلامها وحسراتها، كما بينه العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: الصبر عن الشهوة أسهلُ مِن الصبر على ما توجبه الشهوة؛ فإنها:

- إمّا أَنْ توجب أَلَمًا وعقوبةً.
- وإمّا أَنْ تقطع لذةً أكملَ منها.
- وإمّا أَنْ تُضيع وقتًا إضاعته حسرةً وندامةً.
- وإمّا أَنْ تَثْلمَ عِرضًا توفيره أنفع للعبدِ مِن ثَلْمه.

---

(١) كتاب "الأولياء" لابن أبي الدنيا (ص٣٦).

(٢) من كلام لابن القيم رحمه الله في "الفوائد" (ص١٣٩) .

✍ وإمّا أَنْ تُذهِب مالًا بقاؤه خيرٌ له من ذهابه.
✍ وإمّا أَنْ تَضَعَ قَدْرًا وجاهًا قيامه خيرٌ مِن وضْعه.
✍ وإمّا أَنْ تسْلب نعمةً بقاؤها ألذّ وأطيبُ مِن قضاء الشهوة.
✍ وإمّا أَنْ تُطَرِّقَ لِوَضيعٍ إليك طريقًا لم يَكُن يَجِدها قبلَ ذلك.
✍ وإمّا أَنْ تَجْلِبَ همًّا وغَمًّا وحُزْنًا وخوفًا لا يُقارِبُ لذّة الشهوة.
✍ وإمّا أَنْ تُنْسيَ عِلْمًا ذِكْرُهُ أَلَذّ مِن نَيلِ الشهوة.
✍ وإمّا أَنْ تُشْمِتَ عدوًّا وتُحزِنَ وليّاً.
✍ وإمّا أَنْ تَقطَعَ الطريق على نِعْمةٍ مُقْبلةٍ.
✍ وإمّا أَنْ تُحْدِثَ عَيبًا يَبقى صفةً لا تَزول؛ فإنّ الأعمال تورث الصفات والأخلاق" ..) .اهـ[1]

ومن شؤمها أن الله يسقط العاصي من قلوب عباده، فيعيش بينهم أسوأ عيش ساقط القدر زري الحال لا حرمة له ولا قيمة له لا عند الله ولا عند خلقه لأنه قد سقط من عين الله ومن نتائجها تعسير أموره عليه وظلمة يجدها في قلبه وفساد في عقله مع ما يدخر الله له من العقوبة في الآخرة بحسب ما جنته يداه :﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ [طه: ١٢٧] ، ﴿ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴾ [الرعد: ٣٤]، ﴿ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ [القلم: ٣٣] ، ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴾ [فصلت: ١٦]، فأنت ترى أنه لا داء أخبث من الذنوب.

---

(١) انظر : "فوائد الفوائد" (ص٤٦٢) .

❁ قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "صيد الخاطر"[١]: الواجبُ على العاقل أن يحذرَ مغبةَ المعاصي؛ فإن نارها تحت الرماد، وربما تأخرت العقوبةُ، وربما جاءت مستعجلة.

❁ وقال[٢] رَحِمَهُ ٱللَّهُ : فالحذر الحذر من عواقب الخطايا، والبدار البدار إلى محوها بالإنابة، فلها تأثيرات قبيحة، إن أسرعت، وإلا اجتمعت وجاءت .اهـ

❁ وقال [٣]: لو ميز العاقل بين قضاء وطره لحظة، وانقضاء باقي العمر بالحسرة على قضاء ذلك الوطر: لما قرب منه، ولو أعطي الدنيا، غير أن سكرة الهوى تحول بين الفكر وذلك ، آهٍ ، كم معصية مضت في ساعتها كأنها لم تكن، ثم بقيت آثارها، وأقلها ما لا يبرح من المرارة في الندم! . اهـ

❁ وقال[٤]: فَاللهَ اللهَ! اسمعوا ممن قد جرب! كونوا على مراقبة! وانظروا في العواقب! واعرفوا عظمة الناهي! واحذروا من نفخة تحتقر، وشررة تستصغر، فربما أحرقت بلدًا! وهذا الذي أشرت إليه، يسير يدل على كثير، وأنموذج يعرف باقي المحقرات من الذنوب.

والعلم والمراقبة يعرفانك ما أخللت بذكره، ويعلمانك إن تلمحت بعين البصيرة أثر شؤم فعله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

❁ وقال ابن مفلح رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "الآداب الشرعية"[٥]:فَيَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَتَرَقَّبَ جَزَاءَ الذَّنْبِ فَقَلَّ أَنْ يَسْلَمَ مِنْهُ ، وَلْيَجْتَهِدْ فِي التَّوْبَةِ .اهـ كلامه .

❁ وقال الإمام ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "الجواب الكافي"[٦]: وَالْمَقْصُودُ أَنَّ

---

(١) (ص٣٣٩) .
(٢) (ص٥٠٢) .
(٣) (ص٣٢١) .
(٤) (ص١٤٧) .
(٥) (٣٢٢/١) .
(٦) (ص١٤١) .

عُقُوبَاتِ السَّيِّئَاتِ تَتَنَوَّعُ إِلَى عُقُوبَاتٍ شَرْعِيَّةٍ، وَعُقُوبَاتٍ قَدَرِيَّةٍ، وَهِيَ إِمَّا فِي الْقَلْبِ، وَإِمَّا فِي الْبَدَنِ، وَإِمَّا فِيهِمَا، وَعُقُوبَاتٍ فِي دَارِ الْبَرْزَخِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَعُقُوبَاتٍ يَوْمَ عَوْدِ الْأَجْسَادِ، فَالذَّنْبُ لَا يَخْلُو مِنْ عُقُوبَةٍ أَلْبَتَّةَ، وَلَكِنْ لِجَهْلِ الْعَبْدِ لَا يَشْعُرُ بِمَا فِيهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ، لِأَنَّهُ بِمَنْزِلَةِ السَّكْرَانِ وَالْمُخَدَّرِ وَالنَّائِمِ الَّذِي لَا يَشْعُرُ بِالْأَلَمِ، فَتَرَتُّبُ الْعُقُوبَاتِ عَلَى الذُّنُوبِ كَتَرَتُّبِ الْإِحْرَاقِ عَلَى النَّارِ، وَالْكَسْرِ عَلَى الِانْكِسَارِ، وَالْغَرَقِ عَلَى الْمَاءِ، وَفَسَادِ الْبَدَنِ عَلَى السُّمُومِ، وَالْأَمْرَاضِ عَلَى الْأَسْبَابِ الْجَالِبَةِ لَهَا، وَقَدْ تُقَارِنُ الْمَضَرَّةُ الذَّنْبَ وَقَدْ تَتَأَخَّرُ عَنْهُ، إِمَّا يَسِيرًا وَإِمَّا مُدَّةً، كَمَا يَتَأَخَّرُ الْمَرَضُ عَنْ سَبَبِهِ أَنْ يُقَارِنَهُ، وَكَثِيرًا مَا يَقَعُ الْغَلَطُ لِلْعَبْدِ فِي هَذَا الْمَقَامِ وَيُذْنِبُ الذَّنْبَ فَلَا يَرَى أَثَرَهُ عَقِبَهُ، وَلَا يَدْرِي أَنَّهُ يَعْمَلُ عَمَلَهُ عَلَى التَّدْرِيجِ شَيْئًا فَشَيْئًا، كَمَا تَعْمَلُ السُّمُومُ وَالْأَشْيَاءُ الضَّارَّةُ حَذْوَ الْقَذَّةِ بِالْقَذَّةِ، فَإِنْ تَدَارَكَ الْعَبْدُ نَفْسَهُ بِالْأَدْوِيَةِ وَالِاسْتِفْرَاغِ وَالْحِمْيَةِ، وَإِلَّا فَهُوَ صَائِرٌ إِلَى الْهَلَاكِ، هَذَا إِذَا كَانَ ذَنْبًا وَاحِدًا لَمْ يَتَدَارَكْهُ بِمَا يُزِيلُ أَثَرَهُ، فَكَيْفَ بِالذَّنْبِ عَلَى الذَّنْبِ كُلَّ يَوْمٍ وَكُلَّ سَاعَةٍ؟ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ. اهـ

وروى الحافظ ابن عساكر رحمه الله تعالى في ترجمة هشام بن سليمان الداراني قال: قرئ على أبي سليمان الداراني سورة: ﴿ هل أتى على الإنسان ﴾ فَلَمَّا بَلَغَ الْقَارِئُ إِلَى قَوْلِهِ تعالى: ﴿ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾ [الإنسان: ١٢] قَالَ: بِمَا صَبَرُوا عَلَى تَرْكِ الشَّهَوَاتِ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ أنشد يقول:

كَمْ قَتِيلٍ بِشَهْوَةٍ وَأَسِيرٍ ... أُفٍّ مِنْ مُشْتَهِي خِلَافَ الْجَمِيلِ

شَهَوَاتُ الْإِنْسَانِ تُورِثُهُ الذُّلَّ ... وَتُلْقِيهِ فِي الْبَلَاءِ الطَّوِيلِ(١)

۞ وعن أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

قَالَ: (يَا رُبَّ مُكْرِمٍ لِنَفْسِهِ وَهُوَ لَهَا مُهِينٌ، وَيَا رُبَّ شَهْوَةِ سَاعَةٍ قَدْ أَوْرَثَتْ صَاحِبَهَا حُزْنًا طَوِيلًا.)[1]

---

(١) أورده ابن كثير عند تفسير الآية.

فميزة العاقل هو النظر في العواقب وعدم الاغترار باللذائذ الحاضرة وَمَا أحسن مَا حَكَاهُ بعض أهل الْعلم عَن الْحَكِيم أفلاطون فَإِنَّهُ قَالَ :الْفَضَائِل مرّة الْأَوَائِل حلوة العواقب والرذائل حلوة الْأَوَائِل مرّة العواقب.(٢)

فالصبر عن المعصية قد يكون ولا شك شاقا على الإنسان فلو فتن الإنسان مثلا بامرأة جميلة تدعوه إلى نفسها في مكان خال لا يطلع عليه إلا الله وهو رجل شاب ذو شهوة، فالصبر عن هذه المعصية شاق على النفوس ، لكن هذا الصبر أسهل بكثير من الصبر على ألم اقتراف المعاصي بمآت المرات فالموفق يقارن دائما بين ما يجده من لذة أثناء الفاحشة ، وما يعقب ذلك من ندم وقلق وحيرة تدوم معك طويلًا، ثم ما ينتظر فاعل الفاحشة من عذاب في الآخرة ، فهل ترى أن هذه اللذة التي تنقضي بعد ساعة يقدمها عاقل على ما يعقبها من ندم وعذاب ، ويمكنك لتقوية القناعة بهذا الأمر والرضا به القراءة في كتاب ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ "الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي " ؛ فقد ألفه رَحِمَهُ ٱللَّهُ لمن هم في بعض الشهوات المحرمة نسأل الله العافية.

المسارعة إلى الخيرات والتزام الطاعة والصلاح

ومن العواصم المسارعة إلى الخيرات والتزام الطاعة والصلاح قال تعالى : ﴿**وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ**﴾ [آل عمران: ١٣٣] وقال الله تعالى: ﴿**فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ**﴾ البقرة: ١٤٨ ، وقال الله تعالى :﴿**أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ**﴾ [المؤمنون: ٦١] وفي حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا**» رواه

(١) أورده ابن عساكر في "تاريخ دمشق" (١٧٣/٤٧) مسندا .

(٢) "أدب الطب"(١٠٤) .

أحمد.[١]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا» . رواه مسلم .

والآيات القرآنية والأحاديث النبوية في هذا المعنى كثيرة جدا الداعية إلى المسارعة في مضمار العمل الصالح ومن جملة فوائد ذلك أن العبد إذا سارع إلى الخيرات على الوجه المطلوب فعند ذلك تضعف شهواته وتذهب دواعي نفسه ، فلا تأمره بسوء ، ولا تطالبه بارتكاب منهي ، ولا تكون له همة إلا المسارعة إلى الخيرات ، والمبادرة لاغتنام الساعات والأوقات ، وذلك لاستشعاره حلول الأجل ، وفوات صالح العمل .

❁ قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ : نفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل. فاشغل نفسك دائمًا بما ينفعك في دينك أو دنياك كما قال لك رسول الله ﷺ «**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلاَ تَعْجِزْ** » .[٢]، وقبل ذلك يقول الله تعالى : ﴿**فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ**﴾ [الشرح: ٧] فإذا فرغت من عمل في الدنيا فاجتهد في عمل من عمل الآخرة كذكر الله وتلاوة القرآن وطلب العلم وسماع الأشرطة النافعة ...

وإذا فرغت من طاعة فابدأ بأخرى ، وهكذا إذا فرغت من عمل من أعمال الدنيا فابدأ في آخر ... وهكذا ، لأن النفس أن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل ، فلا تدع لنفسك فرصة أو وقت فراغ تفكر في فاحشة من الفواحش أو معصية من المعاصي ، نسأل الله العون والسداد.

---

(١) من حديث أنس رضي الله عنه وقال شيخنا مقبل رحمه الله : في "الصحيح المسند" (٣٨) حديث صحيح رجاله رجال الصحيح .

(٢) أخرجه مسلم (٦٩٤٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

عبادة الله وحده لا شريك له

ومما يعصمك منها عبادة الله وحده لا شريك له فإنها تنافي عبادة الشهوات وإتباعها فإن التعلق بالله عز وجل وقصده وإرادته هو أساس التوحيد ومقتضى شهادة أن لا إله إلا الله، والله سبحانه وتعالى هو المستحق وحده أن يكون المقصود والمدعو والمطلوب.

۞ يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ : إن الإله هو المقصود والمعتمد عليه، وهذا أمر هيّن عند من لا يعرفه، كبير عظيم عند من يعرفه.(١)

ومن لم يكن مقصوده وغايته الله عز وجل؛ فلا بد أن يكون له مقصود ومراد آخر يستعبده، كما وضّح ذلك ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: الِاسْتِقْرَاءُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كُلَّمَا كَانَ الرَّجُلُ أَعْظَمَ اسْتِكْبَارًا عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ كَانَ أَعْظَمَ إشْرَاكًا بِاَللَّهِ؛ لِأَنَّهُ كُلَّمَا اسْتَكْبَرَ عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ ازْدَادَ فَقْرُهُ وَحَاجَتُهُ إلَى الْمُرَادِ الْمَحْبُوبِ الَّذِي هُوَ الْمَقْصُودُ. فَلَا بُدَّ لِكُلِّ عَبْدٍ مِنْ مُرَادٍ مَحْبُوبٍ هُوَ مُنْتَهَى حُبِّهِ وَإِرَادَتِهِ.

فَمَنْ لَمْ يَكُنْ اللَّهُ مَعْبُودَهُ وَمُنْتَهَى حُبِّهِ وَإِرَادَتِهِ بَلْ اسْتَكْبَرَ عَنْ ذَلِكَ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ مُرَادٌ مَحْبُوبٌ يَسْتَعْبِدُهُ غَيْرُ اللَّهِ، فَيَكُونُ عَبْدًا لِذَلِكَ الْمُرَادِ الْمَحْبُوبِ: إمَّا الْمَالُ، وَإِمَّا الْجَاهُ، وَإِمَّا الصُّوَرُ، وَإِمَّا مَا يَتَّخِذُهُ إلَهًا مِنْ دُونِ اللَّهِ.(٢)

۞ وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : والفتنة بعشق الصور تنافى أن يكون دين العبد كله الله، بل ينقص من كون دينه لله بحسب ما حصل له من فتنة العشق. وربما أخرجت صاحبه من أن يبقى معه شئ من الدين لله. قال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ ﴾ [الأنفال: ٣٩] .

---

(١) "الدرر السنية" (٢/٢١) وانظر: "تاريخ ابن غنام"(٢/٥٢، ٢٩٨)وانظر: "مجموع فتاوى ابن تيمية" (١/٣٤) .

(٢) "العبودية" (ص١١٢-١١٤)، بتصرف، وانظر: "مجموع الفتاوى" (١٠/ ١٨٥-١٨٧)، و"الفوائد" لابن القيم (ص ١٨٦) .

فناقض بين كون الفتنة وبين كون الدين كله لله فكل منهما يناقض الآخر...).(١)

والله تعالى إنما خلق الخلق ليعبدوه ويفردوه بذلك في جميع الأوقات وعلى جميع الحالات فإذا لم يعبدوا الله عزّ وجلّ . الذي هو مستحق للعبادة عَبَدَوا النفس والشيطان، كما قال ابن القيم . رَحِمَهُ ٱللَّهُ في النونية:

هربوا من الرق الذي خلقوا له وبلوا برق النفس والشيطان

و" الرق الذي خلقوا له " : عبادة الله عز وجل . فنحن عبيد الله كما قال سبحانه: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦] .

وبلوا برق النفس والشيطان " استعبدتهم نفوسهم وشياطينهم، حتى تركوا الهدى، واتبعوا الشيطان، حيث صاروا أرقاء لنفوسهم، وأرقاء للشيطان، فما من إنسان يفر من عبودية الله، إلا وقع في عبودية هواه وشيطانه وشهواته، قال الله تعالي: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية: ٢٣] وهذا مستقبح شرعا وعقلا فإياك ثم إياك أن ترضى بعبادة الله وحده بديلا.

۞ قال العلامة الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ : فإذا كان الشخص مفتونا بحب شيء من ذلك -أي من أمور الدنيا وشهواتها- فهو الذي أرخى عنان نفسه حتى تفلتت عليه في شعاب الأماني وهضاب التسويف؛ فصار مقهورًا بتفريطه، مستعبدا بترخيصه، ولو زجرها بزواجر التقوى، وربطها برباط القنوع، وضربها بعصا الزهد، لكان قاهرا لها لا مقهورا بها، وحاكما عليها لا محكوما عليه منها.

وفي هذا العالم الإنساني من صلحاء العباد من هو لما ذكرناه شاهد صدق، وهذا يجده كل عاقل من نفسه، فإنه إذا استرسل في شهوة من الشهوات، أو خلى بين نفسه وبين لذة من

---

(١) "مختصر إغاثة اللهفان" (١٣٣) .

اللذات، وجد من نفسه ميلا إليها ورغوبا فيها لم يكن قد وجده قبل ذلك.[١] والله المستعان.

الزواج لمن استطاع الباءة

ومما يعصمك من فتنة الشهوات الزواج لمن استطاع الباءة، وهو علاج فعال في كسر حد الشهوة ، وهذا عام للعزاب والمتزوجين الذين لا يشعرون بالكفاية بما عندهم فالمبادرة إلى الزواج وسيلة عظمى لحفظ الفروج عن الحرام، لأنه يكسر الشهوة ويضعفها إلى حد بعيد ويكون قد قضى وطره فيما أحله الله ، وقد أرشد إلى ذلك الرسول ﷺ كما في حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا مع النبي ﷺ شبابا لا نجد شيئا فقال لنا رسول الله ﷺ: «**يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ**» متفق عليه[٢] فتضمن هذا الحديث أن في الزواج حفظًا للشباب عن النظر إلى الحرام والبعد عن الوقوع في الفواحش التي حرمها الله عز وجل ، فإن كثيرا من الشباب تهيج غريزته مع فوران شبابه وطيشه فيكون عندها على خطر مقحم بل على استعدادٍ أن يقع في شباك الرذيلة والدعارة -إلا من رحم الله- فإذا تزوج أمن بإذن الله من ذلك ونجا بنفسه وصانها. فاحرص أيها الشاب على المبادرة إلى ذلك إن استعطت لتعصم نفسك واحرص أيها الولي على ذلك لتعصم أولادك نسأل الله أن يعين الجميع .

---

(١) الفتح الرباني(٤/١٨١٥) .

(٢) البخاري (٤٧٧٨) ومسلم (١٤٠٠) .

الحذر الشديد واليقظة الكبيرة والانتباه العظيم من فتنة النساء

ومنها الحذر الشديد واليقظة والانتباه العظيم من فتنة النساء إذ أن فتنة النساء لا تخفى حقيقتها وآثارها على أحد، فكم أزهقت من نفوس، وكم أتلفت من أخلاق، وكم أفسدت من أديان، وفتنة النساء هي أول فتنة كانت في بني إسرائيل، وهي أضر فتنة على الرجل المسلم، قال الله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ [آل عمران: ١٤] فجعلهن من حب الشهوات، وبدأ بهن قبل بقية الأنواع إشارة إلى أنهن الأصل في ذلك كما قال الرسول ﷺ :« **إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ**»(١).

وقال النبي ﷺ : « **مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنْ النِّسَاءِ**» (٢). فجعل فتنتهن أشد الفتن وأشد المضرات.

وينبغي للداعية المصلح وطالب العلم أن يتعامل بحذر مع الأسئلة والاتصالات والمشاركات التي ترد إليه من جهة النساء، وأن يكون متيقظ القلب لما قد تشتمل عليه من الإغراء أو الإعجاب، وأن يئد الفتنة في مهدها، وأن يكون قدوة للرجال والنساء، فإذا ما رأى مخالفة أنكرها، ونصح وبَيَّن، وإذا ما شعر بتساهل المرأة أوقفها عند حدها، وقطع حديثها، وتجاهل اتصالها أو مشاركتها، مستشعرًا مراقبة الله تعالى له، واطلاعه على باطن أمره، حامدا ربه على نعمة العلم والفهم، مدركا أن الله قد يبتلي أمثاله بسلب العلم، وطمس البصيرة، كما جرى لبعض علماء بني إسرائيل، قال الله تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا

---

(١) رواه مسلم (٢٧٤٢).

(٢) رواه البخاري (٥٠٩٦) ومسلم (٢٧٤٠).

لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف/١٧٥، ١٧٦].

والواقع يشهد أن بعض الصالحين أو من يُرى كذلك، إنما جاء انحرافهم من قبل التساهل في الحديث مع النساء، عبر الجوال أو الإنترنت أو غيرها من آلات التواصل الحديثة، وإذا خسر الإنسان دينه فما عساه أن يربح ويكسب! فيجب على الإنسان أن يحرص كل الحرص في درء هذه الفتنة العظيمة التي تدخل على الإنسان التقي والعالم والجاهل والفاسق ويضعف أمامها .

❁ قال الإمام طاووس عند قوله:﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء:٢٨]

إِذَا نَظَرَ إِلَى النِّسَاءِ لَمْ يَصْبِرْ.(١)

❁وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

لَمْ يَكُنْ كُفْرُ مَنْ مَضَى إِلَّا مِنْ قِبَلِ النِّسَاءِ وَهُوَ كَائِنٌ، كُفْرُ مَنْ بَقِيَ مِنْ قِبَلِ النِّسَاءِ.(٢)

وهاك أخي القارئ حكايتين واقعيتين تكشفان أن من أسباب الكفر بالله: عشق النساء .

❁ **فأما الحكاية الأولى** :

فقد ساقها أبو الفرج ابن الجوزي بقوله: (بلغني عن رجل كان ببغداد يُقال له: صالح المؤذن، أذّن أربعين سنة، وكان يُعرف بالصلاح، أنه صعد يومًا إلى المنارة ليؤذن، فرأى بنت رجل نصراني كان بيته إلى جانب المسجد، فافتتن بها، فجاء فطرق الباب، فقالت: من؟

---

(١) انظر: "ذم الهوى" ، لابن الجوزي (ص١٧٩) و"روضة المحبين" ، (ص ٢٠٣) .

(٢) انظر: "ذم الهوى" ، لابن الجوزي، (١٧٨)، و"روضة المحبين" (ص ١٩٧).

فقال: أنا صالح المؤذن، ففتحت له، فلما دخل ضمها إليه، فقالت: أنتم أصحاب الأمانات فما هذه الخيانة؟ فقال: إن وافقتني على ما أريد وإلا قتلتك ، فقالت: لا؛ إلا أن تترك دينك، فقال: أنا بريء من الإسلام ومما جاء به محمد، ثم دنا إليها، فقالت: إنما قلت هذا لتقضي غرضك ثم تعود إلى دينك، فكُلْ من لحم الخنزير، فأكل، قالت: فاشرب الخمر، فشرب، فلما دبّ الشراب فيه دنا إليها، فدخلت بيتًا وأغلقت الباب، وقالت: اصعد إلى السطح حتى إذا جاء أبي زوّجني منك، فصعد فسقط فمات، فخرجت فلفّته في ثوب، فجاء أبوها، فقصّت عليه القصة، فأخرجه في الليل فرماه في السكة، فظهر حديثه، فرُمي في مزبلة.[1]

❁ وأما الحكاية الثانية :

ذكر الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حوادث سنة ثمان وسبعين ومائتين ما يلي: وفيها توفي عبدة بن الزخيم[2] قبحه الله ذكر ابن الجوزي أن هذا الشقي كان من المجاهدين كثيرًا في بلاد الروم، فلما كان في بعض الغزوات والمسلمون يحاصرون بلدة من

---

(١) "ذم الهوى" ، (٤٠٩) .

(٢) حكاية عبدة بن الزخيم التي نسبها إليه ابن كثير وهمًا ووهم أيضًا في نقله عن ابن الجوزي ، وراجعها في المنتظم لابن الجوزي (٣٠١/١٢) فقد ترجم لعبدة بن عبدالرحيم بقوله : عبدة بن عبد الرحيم.

كان من أهل الدين والجهاد.

أَنْبَأَنَا زَاهِرُ بْن طَاهِرٍ قَالَ: أَنْبَأَنَا أَبُو بكر البَيْهَقيّ، أَخْبَرَنَا الحاكم أبو عَبْد اللَّهِ مُحَمَّد بْن عبد الله قَالَ: سمعت أبا الحسين بن أبي القاسم المذكر يقول: سمعت عمر بن أَحْمَد [بن علي] الجوهري يقول: أخبرني أبو العباس أَحْمَد بن علي قَالَ: قَالَ عبدة بن عبد الرحيم: خرجنا في سرية إلى أرض الروم، فصحبنا شاب لم يكن فينا أقرأ للقرآن منه، ولا أفقه ولا أفرض، صائم النهار، قائم الليل، فمررنا بحصن فمال عنه العسكر، ونزل بقرب الحصن، فظننا أنه يبول، فنظر إلى امرأة من النصارى تنظر من وراء الحصن، فعشقها فقال لها بالرومية: كيف السبيل إليك؟ قالت: حين تنصر ويفتح لك الباب وأنا لك. قَالَ: ففعل فأدخل الحصن، قَالَ: فقضينا غزاتنا في أشد ما يكون من الغم، كأن كل رجل منا يرى ذلك بولده من صلبه ، ثم عدنا في سرية أخرى، فمررنا به ينظر من فوق الحصن مع النصارى، فقلنا: يا فلان، ما فعلت قراءتك؟ ما فعل علمك؟ ما فعلت صلواتك وصيامك قَالَ اعلموا أني نسيت القرآن كله ما اذكر منه إلا هذه الآية: ﴿رُبَما يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كانُوا مُسْلِمِينَ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ .

بلاد الروم، إذ نظر إلى امرأة من نساء الروم في ذلك الحصن، فهويها، فراسلها: ما السبيل إلى الوصول إليك؟ فقالت: أن تتنصر وتصعد إليّ، فأجابها إلى ذلك، فما راع المسلمين إلا وهو عندها، فاغتم المسلمون بسبب ذلك غمًا شديداً، وشق عليهم مشقة عظيمة، فلما كان بعد مدة مروا عليه وهو مع تلك المرأة في ذلك الحصن، فقالوا: يا فلان ما فعل قرآنك؟ ما فعل علمك؟ ما فعل صيامك؟ ما فعل جهادك؟ ما فعلت صلاتك؟ فقال: اعلموا أني أُنسيت القرآنَ كله إلا قوله: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ۝٢ ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ [الحجر: ٢، ٣] وقد صار لي فيهم مال وولد[١]، فاللّٰهُمَّ لطفك.

غض البصر عن رؤية المحرمات وما يثير الشهوات

ومن العواصم المهمة غض البصر عن رؤية المحرمات وما يثير الشهوات قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ۝٣٠ وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣٠، ٣١] وروى الترمذي، وأبو داود من حديث بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِعَلِيٍّ: «**يَا عَلِيُّ لَا تُتْبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ، فَإِنَّ لَكَ الْأُولَى وَلَيْسَتْ لَكَ الْآخِرَةُ**»[٢].

ومصادر النظر الحرام كثيرة منها: النظر المباشر للرجال بالنسبة للمرأة وللنساء بالنسبة للرجال والتأمل في المحاسن، ومنها النظر من خلال الصور في المجلات والأفلام وأدوات التواصل الجديدة فكم من نظرة إلى صورة جميلة في السوق أو في شاشة أو مجلة أعقبت فواحش وآلامًا وحسرات.

---

(١) "البداية"، (٦٤/١١).

(٢) قال العلامة الألباني رحمه الله في "صحيح الترغيب" (١٩٠٣) حسن لغيره.

❁ قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ : إِذَا خَافَ الْفِتْنَةَ لَا يَنْظُرُ كَمْ نَظْرَةٍ قَدْ أَلْقَتْ فِي قَلْبِ صَاحِبِهَا الْبَلَابِلَ) .(١)

❁ يقول ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : محذرًا من إطلاق البصر: (اعْلَمْ وَفَّقَكَ اللَّهُ أَنَّ الْبَصَرَ صَاحِبُ خَبَرِ الْقَلْبِ يَنْقُلُ إِلَيْهِ أَخْبَارَ الْمُبْصَرَاتِ وَيَنْقُشُ فِيهِ صُوَرَهَا فَيَجُولُ فِيهَا الْفِكْرُ فَيَشْغَلُهُ ذَلِكَ عَنِ الْفِكْرِ فِيمَا يَنْفَعُهُ مِنْ أَمْرِ الآخِرَةِ.

وَلَمَّا كَانَ إِطْلاقُ الْبَصَرِ سَبَبًا لِوُقُوعِ الْهَوَى فِي الْقَلْبِ أَمَرَكَ الشَّرْعُ بِغَضِّ الْبَصَرِ عَمّا يُخَافُ عَوَاقِبَهُ ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ النور: ٣٠ - ٣١ [النور: ٣١-٣٢] .

ثُمَّ أَشَارَ إِلَى مُسَبِّبِ هَذَا السَّبَبِ وَنبهَ على مَا يَئُول إِلَيْهِ هَذَا الشَّرُّ بِقَوْلِهِ : ﴿**وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ**﴾ [النور: ٣٠] ﴿**وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ**﴾ [النور: ٣١] .(٢)

❁ وقد تحدث شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن النظر المحرم وما يؤول إليه من الوقوع في الفواحش.. بل وقد ينتهي بصاحبه إلى الشرك بالله تعالى فكان مما قاله رَحِمَهُ ٱللَّهُ : وَأَمَّا النَّظَرُ وَالْمُبَاشَرَةُ فَاللَّمَمُ مِنْهَا مَغْفُورٌ بِاجْتِنَابِ الْكَبَائِرِ، فَإِنْ أَصَرَّ عَلَى النَّظَرِ أَوْ عَلَى الْمُبَاشَرَةِ صَارَ كَبِيرَةً، وَقَدْ يَكُونُ الْإِصْرَارُ عَلَى ذَلِكَ أَعْظَمَ مِنْ قَلِيلِ الْفَوَاحِشِ، فَإِنَّ دَوَامَ النَّظَرِ بِالشَّهْوَةِ وَمَا يَتَّصِلُ بِهِ مِنْ الْعِشْقِ وَالْمُعَاشَرَةِ وَالْمُبَاشَرَةِ قَدْ يَكُونُ أَعْظَمَ بِكَثِيرِ مِنْ فَسَادِ زِنَا لَا إصْرَارَ عَلَيْهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ الْفُقَهَاءُ فِي الشَّاهِدِ الْعَدْلِ: أَنْ لَا يَأْتِيَ كَبِيرَةً وَلَا يُصِرَّ عَلَى صَغِيرَةٍ . بَلْ قَدْ يَنْتَهِي النَّظَرُ وَالْمُبَاشَرَةُ بِالرَّجُلِ إلَى الشِّرْكِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمِنَ

---

(١) انظر: "ذم الهوى" ، لابن الجوزي، (ص١١٦) .

(٢) "ذم الهوى" ، (ص١٠٦).

ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة:١٦٥]. وَلِهَذَا لَا يَكُونُ عِشْقُ الصُّوَرِ إلَّا مِنْ ضَعْفِ مُحِبَّةِ اللَّهِ وَضَعْفِ الْإِيمَانِ وَاَللَّهُ تَعَالَى إنَّمَا ذَكَرَهُ فِي الْقُرْآنِ عَنْ امْرَأَةِ الْعَزِيزِ الْمُشْرِكَةِ وَعَنْ قَوْمِ لُوطٍ الْمُشْرِكِينَ.(١)

❁ وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ الْعَيْنَ مِرْآةَ الْقَلْبِ، فَإِذَا غَضَّ الْعَبْدُ بَصَرَهُ غَضَّ الْقَلْبُ شَهْوَتَهُ وَإِرَادَتَهُ، وَإِذَا أَطْلَقَ بَصَرَهُ أَطْلَقَ الْقَلْبُ شَهْوَتَه). إلى أن قال: والنظرة إذا أثّرت في القلب، فإن عجل الحازم وحسم المادة من أولها سهُل علاجه، وإن كرر النظر ونقّب عن محاسن الصورة ونقلها إلى قلب فارغ فنقشها فيه تمكنت المحبة، وكلما تواصلت النظرات كانت كالماء يسقي الشجرة، فلا تزال شجرة الحب تنمو حتى يفسد القلب ويعرض عن الفكر فيما أمر به، فيخرج بصاحبه إلى المحن ويوجب ارتكاب المحظورات والفتن .(٢)

❁ وقال أيضا: والنظر أصل عامة الحوادث التي تصيب الإنسان ؛ فإن النظرة تولد خطرة ، ثم تولد الخطرة فكرة ، ثم تولد الفكرة شهوة ، ثم تولد الشهوة إرادة ، ثم تقوى فتصير عزيمة جازمة ، فيقع الفعل ، ولا بد ، ما لم يمنع منه مانع، وفى هذا قيل :الصبر على غضّ البصر أيسرُ من الصبر على ألم ما بعده، قال الشاعر :

كُلُّ الحوادثِ مبدأها من النظرِ ... ومُعظَمُ النارِ مِنْ مُستصغَر الشَّررِ

كمْ نظرةٍ بلَغَت منْ قلْبِ صاحبِها ... كمبلغِ السهْم بينَ القوسِ والوتر

والعبدُ ما دام ذا طَرْفٍ يُقَلِّبُه ... في أعُين الغيْدِ مَوقوفٌ على الخَطَرِ

يَسُرُّ مُقْلَتَهُ ما ضَرَّ مُهْجَتَه ... لا مَرْحبًا بِسرورٍ عادَ بالضَّررِ

ومن آفات النظر : أنه يورث الحسرات والزفرات والحرقات ، فيرى العبد ما ليس

---

(١) "مجموع الفتاوى" ،(١٥/٢٩٢، ٢٩٣).

(٢) "روضة المحبين"(٩٢، ٩٤، ٩٥) ، باختصار يسير.

قادرًا عليه ولا صابرا عنه ، وهذا من أعظم العذاب : أن ترى ما لا صبر لك عنه ولا عن بعضه ولا قدرة لك عليه ولا عن بعضه، قال الشاعر :

وكُنْتَ متى أرسلْتَ طَرْفَكَ رائِداً لقلْبــكَ يومًــا أتعبتْــكَ المنــاظِرُ

رأيــتَ الذي لا كُلُّــهُ أنــتَ قــادرٌ عليــهِ ولا عــنْ بعضــهِ أنــتَ صــابرُ

وقد قيل : إن حبس اللحظات أيسرُ من دوام الحسرات .

وفي غض البصر عدة منافع :

أحدها : أنه امتثال لأمر الله ، الذي هو غاية سعادة العبد في معاشه ومعاده ؛ وليس للعبد في دنياه وآخرته أنفع من امتثال أوامر ربه تبارك وتعالى ، وما سعد من سعد في الدنيا و الآخرة إلا بامتثال أوامره ، وما شقي من شقي في الدنيا والآخرة إلا بتضييع أوامره .

الثانية : أنه يمنع من وصول أثر السهم المسموم الذي لعل فيه هلاكه إلى قلبه .

الثالثة : أنه يورث القلب أنسًا بالله وجمعيَّة على الله ؛ فإن إطلاق البصر ؛ يفرق القلب ويشتته ويبعده عن الله ، وليس على القلب شيء أضر من إطلاق البصر ؛ فإنه يوقع الوحشة بين العبد وبين ربه .

الخامسة : أنه يكسب القلب نورًا كما أن إطلاقه يكسبه ظلمة :

وإذا استنار القلب ؛ أقبلت وفود الخيرات إليه من كل ناحية ؛ كما أنه إذا أظلم ؛ أقبلت سحائب البلاء والشر عليه من كل مكان ؛ فما شئت من بدع ، وضلالة ، واتباع هوى ، واجتناب هدى، وإعراض عن أسباب السعادة ، واشتغال بأسباب الشقاوة ؛ فإن ذلك إنما يكشفه له النور الذي في القلب ؛ فإذا فُقِد ذلك النور ؛ بقى صاحبه كالأعمى الذي يجوس[1] في حنادس الظلمات.[2]

---

(١) الجَوْس : طلب الشيء باستقصاء ، والتردد والطواف خلال البيوت والدور في الغارة .

(٢) الحِنْدس : الظلمة ، والليل المظلم .

السادسة : أنه يورث فراسة صادقة يميز بها بين الحق والبطل والصادق والكاذب.

وكان شاه بن شجاع الكرماني يقول : (من عمر ظاهره باتباع السنة ، وباطنه بدوام المراقبة ،وغض بصره عن المحارم، وكف نفسه عن الشهوات ، واغتذى بالحلال لم تخط له فراسة) .(١)

وكان [ابن] شجاع هذا ؛ لا تخطيء له فراسة . والله سبحانه يجزي العبد على عمله بما هو من جنس عمله ،ومن ترك لله شيئا ؛ عوضه الله خيرا منه .

فإذا غض بصره عن محارم الله ؛ عوضه الله بأن يطلق نور بصيرته عوضه عن حبسه بصره لله ، ويفتح له باب العلم والإيمان والمعرفة والفراسة الصادقة المصيبة التي إنما تنال ببصيرة القلب .

وضدُّ هذا ما وصف الله به اللوطية من العمه الذي هو ضد البصيرة ، فقال الله تعالى: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الحجر: ٧٢] فوصفهم بالسكرة التي هي فساد العقل والعمه الذي هو فساد البصيرة .فالتعلق بالصور يوجب فساد العقل وعمه البصيرة وسكر القلب؛كما قال القائل

سَكْرانُ سُكْرَ هوىً وسُكْرَ مُدامَةٍ ومتى إفاقةُ مَنْ بهِ سُكْران

وقال الآخر :

قالوا جُنِنْت بِمَنْ تهوى فقلتُ لَهُمْ العشقُ أعظمُ مِمَّا بالمَجانين

العشقُ لا يستفيقُ الدَّهْرُ صاحِبُهُ وإنَّما يُصْرعُ المَجنونُ في الحين

السابعة : إنه يورث القلب ثباتًا وشجاعة وقوة .

وَضِدُّ هَذَا تَجِدُ فِي الْمُتَّبِعِ لِهَوَاهُ - مِنْ ذُلِّ النَّفْسِ وَوَضَاعَتِهَا وَمَهَانَتِهَا وَخِسَّتِهَا وَحَقَارَتِهَا- مَا جَعَلَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِيمَنْ حَصَاهُ.

---

(١) انظر : "حلية الأولياء" (٢٣٧/١٠) .

كَمَا قَالَ الْحَسَنُ: " إِنَّهُمْ وَإِنْ طَقْطَقَتْ بِهِمُ الْبِغَالُ، وَهَمْلَجَتْ بِهِمُ الْبَرَاذِينُ، إِنَّ ذُلَّ الْمَعْصِيَةِ فِي رِقَابِهِمْ، أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُذِلَّ مَنْ عَصَاهُ ".(١)

وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْعِزَّ قَرِينَ طَاعَتِهِ، وَالذُّلَّ قَرِينَ مَعْصِيَتِهِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨] وقال تعالى : ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].والإيمان ؛ قول وعمل ، ظاهر وباطن . وقال تعالى :﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠] أي : من كان يريد العزة ؛ فليطلبها بطاعة الله وذكره من الكلم الطيب والعمل الصالح .

وفي دعاء القنوت : " «**إِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، وَلَا يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ** » "(٢)

ومن أطاع الله ؛ فقد والاه فيما أطاعه فيه ، وله من العز بحسب طاعته ، ومن عصاه ؛ فقد عاداه فيما عصاه فيه ، وله من الذل بحسب معصيته .

الثامنة : أنه يسد على الشيطان مدخله إلى القلب ؛فإنه يدخل مع النظرة ، وينفذ معها إلى القلب أسرع من نفوذ الهوى في المكان الخالي ؛ فيمثل له صورة المنظور إليه ، ويزينها ، ويجعلها صنما يعكف عليه القلب ،ثم يعده ، ويمنيه ، ويوقد على القلب نار الشهوة ، ويلقى عليه حطب المعاصي التي لم يكن يتوصل إليها بدون تلك الصورة، فيصير القلب في اللهيب ؛ فمن ذلك اللهيب تلك الأنفاس التي يجد فيها وهج النار ، وتلك الزفرات والحرقات ؛ فإن القلب قد أحاطت به النيران من كل جانب؛ فهو في وسطها كالشاة في وسط التنور.

---

(١) انظر : "الحلية" (١٤٩/٢) . والطقطقة : صوت حوافر البغال . والهملجة : الانقياد والذل . والبراذين : الدواب.

(٢) أخرجه : أبو داود (١٤٢٥) والترمذي (٤٦٤) والنسائي (١٧٤٤) وابن ماجه (١١٧٨) من حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما .قال الترمذي : هذا حديث حسن . وصححه أحمد شاكر والألباني والوادعي.

ولهذا كانت عقوبة أصحاب الشهوات للصور المحرمة : أن جُعِل لهم في البرزخ تنور من نار ، وأودعت أرواحهم فيه إلى يوم حشر أجسادهم ؛ كما أراها الله تعالى لنبيه في المنام في الحديث المتفق على صحته .

التاسعة : أنه يفرغ القلب للفكرة في مصالحه والاشتغال بها ، وإطلاق البصر ينسيه ذلك ويحول بينه وبينه ؛ فينفرط عليه أمره ، ويقع في اتباع هواه وفي الغفلة عن ذكر ربه . قال تعالى : ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [الكهف: ٢٨] وإطلاق النظر يوجب هذه الأمور الثلاثة بحسبه .

العاشرة: أن بين العين والقلب منفذًا و طريقا يوجب اشتغال أحدهما عن الآخر ، وأن يصلح بصلاحه ،ويفسد بفساده ؛ فإذا فسد القلب ؛فسد النظر ،وإذا فسد النظر؛ فسد القلب ، وكذلك في جانب الصلاح .

فإذا خربت العين وفسدت ؛ خرب القلب وفسد وصار كالمزبلة التي هي محل النجاسات والقاذورات والأوساخ ؛فلا يصلح لسكنى معرفة الله ومحبته

و الإنابة إليه والأنس به والسرور بقربه فيه ،وإنما يسكن فيه أضداد ذلك .

فهذه إشارة إلى بعض فوائد غض البصر تطلعك على ما ورائها.(١) فاللّٰهُمَّ إنا نعوذ بك من شرور أبصارنا.

الفرار من أماكن الفتن

ومن العواصم المهمة للغاية الفرار من أماكن الفتن كالبعد عن أماكن الصور الخليعة والأفلام الساقطة والنساء المتبرجات والأغاني الهابطة وأماكن الانترنت

(١) "تهذيب الداء والدواء" (ص٦) .

الفاضحة وأماكن الاختلاط بالنساء، ولهذا جاء في الصحيحين[١] من حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال : « **فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ** » .

ومن ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه. فالله الله في تربية النفس وتعويدها على الابتعاد عن أماكن الفتن والابتعاد عن كل ما يثير الغرائز وعدم الثقة بالنفس وإنما الثقة بالله لا تقول إرادتي قوية وعزيمتي شديدة وأنا لا أنجر وأنا لا أتأثر وأنا لا يمكن أن أقع ومهما حصل فإنني سأقاوم كلا فإن النبي عليه الصلاة والسلام علمنا مبدأ عظيما جدا ترجم له الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ فقال باب من الدين الفرار من الفتن ثم ساق بسنده إلى أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « **يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنْ الْفِتَنِ**» .

ومن جملة الأدلة على هذا المبدأ ما أخرجه أبو داود عن المقداد بن الأسود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :«**إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنِ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنُ، وَلَمَنْ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ فَوَاهًا**».[٢][٣]

وما أخرجه أبو داود عن عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ عَنْهُ، فَوَ اللَّهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَيَتَّبِعُهُ، مِمَّا يَبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ**» [٤]، وهكذا اليوم يقول بعضهم أنا أثق بنفسي إنني لن أنجر ولن

---

(١) البخاري(٥٢) ومسلم(٤١٧٨) .

(٢) فواها كلمة تلهف وترحم وقد توضع موضع الإعجاب بالشيء .

(٣) أورده العلامة الألباني رحمه الله في "الصحيحة" (٩٧٥)وقال هذا إسناد صحيح على شرط مسلم ، وهو مخرج أيضا في "الصحيح المسند" (١١٤٠) لشيخنا مقبل رحمه الله .

(٤) قال العلامة الألباني رحمه الله في تعليقه على "المشكاة" : (٥٤٨٨) حديث صحيح. وقال شيخنا مقبل رحمه الله في "الصحيح

أسحب ولكنه في النهاية يقع فالحذر هو طريق السلامة.

❁ قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : فما استعين على التخلص من الشر بمثل البعد عن أسبابه ومظانه.[١]

❁ ويقول ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في " صيد الخاطر "[٢] : من قارب الفتنة بعدت عنه السلامة و من ادعى الصبر و كل إلى نفسه و رب نظرة لم تناظر![٣] و أحق الأشياء بالضبط و القهر : اللسان و العين فإياك إياك أن تغتر بعزمك على ترك الهوى مع مقاربة الفتنة فإن الهوى مكايد.

❁ وقال[٤] : ما رأيت أعظم فتنة من مقاربة الفتنة و قل أن يقاربها إلا من يقع فيها و من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه .

❁ وقال ابن الجوزي أيضا : و أكثر ما يقع هذا في مقاربة الفتنة و قل من يسلم عند المقاربة لأنه كتقديم نار إلى حلفاء[٥] ثم لو ميز العاقل بين قضاء وطره لحظة و إنقضاء باقي العمر بالحسرة على قضاء ذلك الوطر لما قرب منه و لو أعطى الدنيا غير أن سكرة الهوى تحول بين الفكر و ذلك آه كم معصية في ساعتها كأنها لم تكن ثم بقيت آثارها و أقلها ما لا يبرح من المرارة في الندم و الطريق الأعظم في الحذر ألا يتعرض لسبب فتنة و لا يقاربه فمن فهم هذا و بالغ في الاحتراز كان إلى السلامة أقرب.[٦]

المسند " (١٠١٩)حديث صحيح .

(١) "عدة الصابرين " (ص٨٦).

(٢) (ص٤١) .

(٣) أي لم تمهل فأصابته بسم أو أوقعته في فتنة .

(٤) (ص٣٥٠) .

(٥) الحلفاء: نبات عشبي معمر من الفصيلة النجيلية، أوراقه مستطيلة خيطية أو أسلية النصل، يلتف بعضها على بعض، تصنع منها الحصر والقفف والحبال .

(٦) "صيد الخاطر " (ص٢١٧) .

فما عليك أيها المسلم المبارك إلا أن تأخذ حذرك وتسد على نفسك جميع منافذ الشر وتعتصم بالله ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم يرحم الله لوطا لقد كان يأوي إلى ركن شديد إنه الركن إذا خانتك أركان والله المستعان.

الحذر من الوقوع في فخ المعاكسات

الحذر من الوقوع في فخ المعاكسات الهاتفية والرسائل العاطفية وتبادل الأرقام بين الأولاد والبنات الشباب والشابات فهذه الوسائل هي بداية الجريمة وأول خطواتها وهي من أعظم ما يجر إلى العشق؛ في حق الرجال والنساء فقد تكون الفتاة مثلا حَصَانًا رزانًا لا تُزْنُّ بريبة، ولا تحوم حولها شبهة، وهي من بيت طهر وفضيلة، قد جلله العفاف، وأُسْدل عليه الستر فما هي إلا أن تتساهل في شأن الهاتف، وتسترسل في محادثة العابثين حتى تقع فيما لا تحمد عقباه؛ فربما وافقت خبيثًا يغْتَرُّها بمعسول الكلام، فَتَعْلَقُه، وتقع في أشراكه؛ ولا يخفى أن الأذن تعشق قبل العين أحياناً. وربما زاد الأمر عن ذلك، فاستجر الفتاة حتى إذا وافق غرتها مكر بها، وتركها بعد أن يلبسها عارها وربما كانت المبادرة من بعض الفتيات؛ حيث تمسك بسماعة الهاتف وتتصل بأحد من الناس إما أن يكون مقصودًا بعينه، وإما أن يكون الاتصال خبط عشواء؛ فتبدأ بالخضوع له بالقول، وإيقاعه في حبائلها. والحامل على المعاكسات في الغالب تساهل كثير من الناس في شأن الهاتف، أو الجهل بعواقب المعاكسات، أو من باب التقليد الأعمى، أو حب الاستطلاع، أو غير ذلك من الأمور التي يجمعها الجهل، وعدم النظر في العواقب، وقلة المراقبة -لله تعالى- فالحاصل أن المعاكسات الهاتفية وغير الهاتفية من أعظم الأسباب التي تقود إلى العشق والتعلق؛ وأكبر سلم للحسرة والندامة. فَسَدُّ هذا الباب واجب متعين. إذ قد تفضي هذه الطريقة إلى فقد الدين وترك الالتزام وانتهاك الأعراض والشرف ولو نظرنا إلى أسباب المعاكسة لوجدنا أنها كثيرة منها.

١) التساهل في رد الفتاة على الهاتف وهذا مما يقع في بعض البيوت، فالأفضل والأولى

أن يرد الرجل على الهاتف- إن كان متواجدا في البيت- فهذا أسلم للطرفين، ويقطع الأمر من أوله إلا في حالة تعذر من يقوم بالرد عنها، فترد المرأة الكبيرة العاقلة أو الصبي المدرك.

٢) التقليد الأعمى لما يسمع ويشاهد من الشباب والشابات فحينما يسمع الشاب والشابة من الكلمات الماجنة الساقطة والكلمات التي تتحدث عن الحب والغرام فتتشبع نفسه بها ويحاول محاكاة ما يسمعه ويشاهده فالمرة الأولى يتعلم والمرة الثانية يطبق فيتفنن في أسلوبه واحتياله بعد ما كان لا يعرف شيئا في هذا.

٣) الخضوع في القول أو زيادة الكلام من غير حاجة ولهذا قال تعالى:﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ [الأحزاب: ٣٢] فبعض النساء تتدلل في كلامها وتتغنج في صوتها وهذا لا يجوز شرعا، فأحيانا يكون هذا من غير قصد، أو أنها تزيد في الكلام من غير حاجة وهذا يوقع في المحذور فالكلام ما دعت له الحاجة فلا زيادة.

٤) الترقيم من الشاب وهذا وللأسف يفعله بعض الشباب وهو رمي رقم هاتفه للفتيات وهذا من وقاحة المرء وقلة حيائه إذ كيف يرمي برقمه من غير فكر ولا روية.

٥) النزول للأسواق من غير محرم أو النزول مع طفل صغير لا يدرك فهذا مما يجرئ الفسقة على النساء خاصة إذا كانت بمفردها بخلاف ما لو كانت مع وليها فهي عزيزة ولا أحد يتجرأ عليها، وغالبا ما يبحث هؤلاء الذئاب عن مقصودهم في الأسواق عند المرأة التي تكون بمفردها.

٦) المراسلة، وهي التي تكون في بعض المجلات والهواتف والنت بين الطرفين كما يسمى بالتعارف وهذا يجعل بعض الرجال يراسلون النساء باسم الصداقة والزمالة صداقة مزعومة بنيت على شفا جرف هار.

٧) عدم وجود الرقيب أثناء خروج الطالبات ودخولهن، ويتصور هذا الشيء بالدوران المستمر عند مدارس البنات، وتراهم بين غاد ورائح، وحول مجمعات النساء ويتحينون أي التفاته أو نظرة منها، فهو يتسنح أي فرصة تتاح له فترى بعض الشباب يمشي الهوينا، وقد أشغل المسجل وأطال الصوت على أغنية لمطربه المفضل، وربما اكتفى هذا المسكين بالنظر

ثم رجع.

٨) الرفقة السيئة عن طريق الزملاء أو الزميلات، وهذا معلوم بالضرورة أن الجليس يؤثر على جليسه كما في حديث أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ**» رواه الترمذي[١]

وقديما قيل: من جالس جانس. وفي المثل قل لي من تجالس أقول لك من أنت فيعرف الشاب المعاكسة عن طريق زميل الدراسة أو أصدقاء السوء في الحي، أو القريب الذي يسلك هذا المسلك، وكذلك تكون الفتاة تعرف هذا الطريق المشين عن طريق زميلات السوء فليحذر الشاب والشابة من هؤلاء، فهم أصدقاء السوء فمعرفتهم في الدنيا خسارة، ومشاكل ومصائب، وفي الآخرة يلعن بعضهم بعضا قال تعالى:﴿ **حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ** ﴾ [الزخرف: ٣٨] ، ويقول تعالى: ﴿ **ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ** ﴾ [الزخرف: ٦٧].

٩) عدم الإرشاد والتوجيه والتربية الصالحة في البيت، وهذا يجعل الشاب أو الشابة يقع في هذا الداء نتيجة الجهل أو التربية غير الصالحة، فعلى الأب والأم تبيين هذا الضرر ونتائجه لكي يكون الابن على علم ودراية بهذا الشيء. وفرق بين من تربى على المسجد والذهاب إليه، و تربى على مائدة القرآن، وبين من تربى على المرقص والذهاب إليه، أو الدش، والمكوث عنده، فمن زرع خيرا حصد خيرا كما أن من زرع شرا حصد شرا فلكل حاصد ما زرع.

١٠) المعاملة السيئة في البيت، أو القسوة من الوالدين فهذا السبب يجعل الابن أحيانا يهرب من واقعه الذي يعيشه إلى واقع آخر ربما أن يجد فيه ما لا يجده في بيته وربما يقع الابن في المعاكسة وغيرها من الجرائم نتيجة قسوة الوالدين، وقد يقع أحد الأبناء في خطأ

---

(١) حسنه الألباني في "السلسلة الصحيحة"(٢ / ٦٣٣)رقم(٩٢٧) .

واضح ويعاقبه الوالدان على هذا الخطأ ولكن دون مراعاة لعواقب الأمور ودون وضع العقاب في مكانه الصحيح.

١١) الفراغ القاتل، فلو كان وقته مشغولا ومليئا بأمر دينه أو دنياه لم يجد وقتا يعبث فيه بالهاتف، فكم من معاكسة أولها كانت من الفراغ، وضرب الأرقام بطريقة عشوائية ثم يسترسل ويستدرجه الشيطان إلى ما لا تحمد عقباه وصدق النبي ﷺ حينما قال: «**نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ** » ، رواه البخاري [١]. وقال أبو العتاهية:

إن الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء أي مفسدة

وكان يقال إن لم يكن الشغل محمدة فإن الفراغ مفسدة والله المستعان.

١٢) تأخير الزواج: فهو أحد الأسباب للوقوع في هذه الجريمة.

١٣) المال: فهو وسيلة مؤثرة، فكل بيت له ظروفه المالية التي يعيشها وربما يكون نقص المال وتقصير الولي في الإنفاق على أهله سبب من الأسباب للوقوع في المعاكسة، فحينما تجد المرأة المتزوجة المال عند غير زوجها وتوفر كل المتطلبات لها تجد أنها تقع في شراك المعاكس، وذلك بسبب المال.

١٤) عدم وجود الولي المسؤول في البيت، وهذا يتمثل غالبا في المطلقة أو اليتيمة أو المعلقة، فهو يجرئ مريض القلب على هؤلاء النسوة.

١٥) السهر: فخفافيش الليل لا تظهر إلا في الليل، فهي تبحث عن ضحاياها، فالسهر يعطي لهؤلاء فرصة خاصة إذا كان يسهر بمفرده.

١٦) فضول النظر سواء من الرجل أو المرأة، فهو سهم من سهام إبليس، ولو امتثل الرجل والمرأة لأمر الله ورسوله في غض البصر ما وقع الشخص في هذا الأمر.

---

(١) رقم(٦٠٤٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما .

١٧) الأطفال: فهؤلاء قد يستغلون من المعاكسين وذلك بسؤال الطفل عن اسمه واسم أخته وأمه واسم أهل البيت فيجيب الطفل بكل براءة بالحقيقة، فتكون فرصة ومدخلا لهذا المعاكس على هذا البيت ليبدأ مسلسل الإزعاج وأحيانا التهديد والتلفيق، وذلك عن طريق المعلومات التي تحصل عليها عن طريق الطفل.

١٨) التبرج والسفور: فإذا رأى الشاب المرأة المتبرجة يجعله في كثير من الأحيان يجزم بأنها لا تمانع من المعاكسة لأن سلوكها الداخلي جسده منظرها الخارجي.

١٩) الثقة العمياء: فالإسلام لا إفراط فيه ولا تفريط، فالشك والوسواس منبوذ والثقة العمياء مرفوضة، فالمرء قد يضعف في وقت من الأوقات وفي ظروف معينة، فالبعض يترك الحبل على الغارب بحجة أنه يثق في أهله ويعرفهم فلا يهمه أن يكون الهاتف مشغولا باستمرار أو المرأة متبرجة، فأول من يجني ثمار هذا الشيء هو بنفسه.

٢٠) وصف أحد الطرفين للآخر عند الأجانب وهذا يقع في كثير من الأحيان جهلا من أحد الطرفين فربما يصف الشاب أخته لزميله غير قاصد أو الشابة تصف أخوها لزميلتها، فإذا سمعت صوته أو سمع صوتها يرسم الشيطان صورتها في مخيلته فيستمر الشيطان ليواصل خطواته بعد هذه الخطوة الأولى.

٢١) الاختلاط بين الطرفين: وهذا معلوم بالضرورة. أن الاختلاط مجرة للهاوية وهذا يقع من البعض بسبب العادات أو التقاليد أو البعد عن الدين، أو ما يسمى-وللأسف- باسم الحضارة، فكل ذلك باطل، فكونه يحتج بأنه قد تكون عادة من عادات آبائه فهذه صفة من صفات المشركين احتجاجهم بآبائهم : ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣] وقوله تعالى:﴿ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ﴾ [الشعراء: ٧٤]

٢٢) الزواج من غير ثقة: فإذا كان الزوج صاحب علاقات والعياذ بالله، وصاحب سفريات مستمرة لغرض سيئ، فإن الزوجة في الغالب تسير على نهجه وطريقته، لأنها عقوبة وهذا يقع في الأصل على أولياء الأمور الذين لا يجتهدون في إيجاد الزوج الصالح لبناتهم. فالمسألة قد تكون عند البعض بيع وشراء، أو بيع أثاث، وهذا خطأ فادح،

فالمسألة ليست بالهينة، وإنما هي حياة إنسانة لها إحساس وشعور، فعلى الولي أن يتحرى الرجل صاحب الخلق والدين فيزوجه. قال الشعبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها)[١].

وقال بعض السلف : النكاح رق فلينظر أحدكم عند من يرق كريمته.

٢٣) الدش: وهذا يدخل أو قد يدخل في أحد الأسباب المتقدمة، وهو التقليد لما يسمع ويشاهد، ولكنه يخص ويفرد بالذكر؛ لأن تأثيره سريع وعجيب، ومدمر في نفس الوقت، وهذا مما عمت به البلوى في هذا الزمان والله المستعان، ومن كيد الشيطان وحيله أن يدخل على صاحب الدش حيلا وأعذارا مرة من أجل لأخبار، ومرة من أجل متابعة الرياضة. أعذار أوهن من بيت العنكبوت، ولسنا بصدد الرد عليها، ولكن أقول نسي المسكين أنه قضى على كثير من دينه وأخلاق أولاده، فالدش جامع لأخلاق وعادات الكفر،

فوالله يأيها المسلم إنها مصيبة، وكم من جريمة وقعت، جرها الدش، وكم من جريمة قتل علمها الدش وكم وكم مما يندى له الجبين نسأل الله العافية.

٢٤) الغفلة ونسيان الموت: وهذا سبب قوي فلو تذكر صاحب المعصية أن الموت بالمرصاد وأن له نهاية يرى نتائجها من بعدها ويرى حصيلة أيامه الخالية لم يعمل هذا العمل ، ولكنه نسي. قال تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ [الكهف: ٢٨]. نعم عاش مع الناس، أكل وشرب وسهى ولهى وهذه هي حياة البهائم، كما قال تعالى:﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

٢٥) الشماتة والتهكم في أصحاب المعاصي: وهذا لا يجوز، فالواجب أن يحمد

---

(١) رَوَاهُ ابْن حبَان فِي "الضُّعَفَاء" من حَدِيث أنس مرفوعًا ولم يثبت رفعه إلى النبي ﷺ بل موضوع وَرَوَاهُ فِي الثِّقَات من قَول الشّعبِيّ بِإِسْنَاد صَحِيح ، انظر "الضعيفة" (٢٠٦٢) .

الإنسان الله عز وجل حينما يرى مثل هذا المبتلى ويقول: « **الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ، وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا**». (١)

أما الشماتة في هؤلاء والسخرية بهم فلا تجوز، فقد يعافيه الله ويبتليك، وكم من شخص شمت وتهكم بأصحاب المعاصي. ثم في يوم من الأيام صار مثلهم، أو جعل الله ذلك في ذريته من بعده والله المستعان.

٢٦) عدم إدراك الجزاء والعقوبة ونسيان الجزاء بهذا: فالذي يعاكس يعاقبه الله عز وجل ويجازيه في ذريته آجلا أو عاجلا، إذا لم يتب، فالذي يزني يزنى بجداره ولو بعد حين.

وللعلامة المقري:

عفوا تعف نساؤكم في المحرم ... وتجنبوا ما لا يليق بمسلم

يا هاتكًا حرمَ الرجال وتابعا... ... طرقَ الفساد فأنت غير مكرمِ

من يَزْنِ في قوم بألفي دِرْهَم ... في أهلهِ يُزْنَى بربع الدرهم

يا هاتكًا حَرَمَ الرجالِ وتابعًا ... طُرُقَ الفسادِ تعيش غيرَ مُكَرَّمِ

إن الزنا دَيْن أذا استقرضته ... كان الوفا من أهل بيتك فاعلم(٢).

٢٧) الشهوة الجامحة: فثوران وهيجان الشهوة له أسباب: فإذا هاجت الشهوة انغلق التفكير والنظر في العواقب والحل والتحريم، فيقدم على مطلوبه دون تردد فهو في هذه الحالة يعيش حالة شبيهة بالبهائم. وهذا يقع غالبا عند غير المتزوجين، لذا أرشد النبي ﷺ إلى الصوم، كما في حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «**مَنِ اسْتَطَاعَ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ**

---

(١) أخرجه الترمذي وصححه العلامة الألباني رحمه الله في "الصحيحة"(٢/١٥٣) رقم (٦٠٢) .

(٢) "موارد الظمآن لدروس الزمان"(٣/ ٤٧٣) .

وِجَاءٌ» متفق عليه.[١]

وليبتعد عن أسباب هيجان الشهوة من صورة أو نظرة أو كلمة أو تفكير أو جليس ويشغل نفسه وفكره بأمر دينه ومعاشه. وعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ**».[٢]

٢٨) ضعف الوازع الديني: فضعيف الدين ترى منه العجائب والمصائب، فهذا الدين مصدر العزة، فمتى تخلى المرء عنه أذله الله، كما قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، فإن ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله).[٣] فضعف الوازع الديني قاتل لكل الحضارات والشخصيات مهما كانت، وضعيف الدين لا يمنع صاحبه ولا يجعله يخاف من عقوبة أو حد، ولا يستحي من عمله، وكما قال النبي ﷺ : « **إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلاَمِ النُّبُوَّةِ، إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ**» رواه البخاري[٤]، وينسي أنه تعرض أعماله في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، قال تعالى : ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٩].

ويقول تعالى: ﴿ **أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ** ﴾ [المجادلة: ٦] ، عملوا أعمالا نسوها، ولكن الله أثبتها وأحصاها.

٢٩) الاغترار بالمظاهر البراقة في هذه الدنيا الزائلة: كالسيارة الفارهة والبيت الجميل، أو المحل الشهير، وغيرها من المظاهر البراقة، وهذا وللأسف يقع من بعض الفتيات وأصبح معروفا عند بعض الفتيات أن السيارة الفلانية معروفة أنها تستخدم للمعاكسة، وغيرها

---

(١) البخاري (٤٧٧٨) ومسلم (١٤٠٠) .

(٢) (٦١٠٩) .

(٣) انظر : "البداية والنهاية" (٧ / ٥٧) .

(٤) برقم (٣٤٨٤) .

من الأعمال المشينة. والاغترار والإعجاب بالمنصب، ولو علمت أن هذا كله سراب وزائل وأنه مجرد وقت ويندثر ويزول، لما انساقت خلفه، فالسيارة قد تكون أحد أداة القتل لصاحبها، فالدنيا كلها فانية ويعلم هذا الشيء من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق: ٣٧]

آثار المعاكسة السيئة

فآثار المعاكسة أخي الكريم لا تعد ولا تحصى، ولكن تذكر على سبيل الاختصار :

١) دمار وشتات للأسر.

٢) مضيعة للوقت وإهداره دون فائدة.

٣) يجر إلى المحرم وهذا يؤدي إلى النار.

٤) ربما يجني صاحبه عقوبته في الدنيا قبل الآخرة بحد أو سجن.

٥) ربما يجني من المعاكسة السفاح والعياذ بالله.

٦) إزعاج للمسلمين ومصدر قلق لهم.

٧) التعرض لدعوة من أحد المسلمين.

٨) تشويه لسمعة الشخص وسمعة أهله.

٩) التعود على الجبن والخوف وعدم المواجهة.

١٠) الكذب وهذا يؤدي إلى النار.

١١) الانعزالية والاكتئاب والشعور بالوحدة، لأنه يعتقد أن من يشاركه الهم والمحبة هو حبيبه فلذا ينعزل عن أسرته ومجتمعه.

١٢) تبذير المال والإنفاق دون شعور ولأجل حبيبه صرف المال في وجه غير شرعي.

١٣) الفضولية في جميع الأمور فهو عود نفسه على الفضول والتطفل في أموره كلها، فانعدم الأدب عنده فهو دنيء النفس يسقط عند كل كلمة وعند كل حركة.

١٤) إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا وقد توعد الله هؤلاء بالعقوبة. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النور: ١٩].

١٥) اختلاط الأنساب والأحساب وربما ضاعت الأنساب واختلطت بسبب هذا الشيء.

١٦) عدم الواقعية فهو يعيش في عالم وخيال واسع أحيانا.

١٧) الابتلاء والعقوبة لمثل عمله. قال تعالى: ﴿**جَزَآءً وِفَاقًا**﴾ [النبأ: ٢٦].

١٨) انعدام وفقدان المروءة والشهامة والرجولة.

١٩) الإصابة بالأمراض الحسية والمعنوية. قال كعب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ : (إذا رأيتم الوباء قد فشا فاعلموا أن الزنا قد فشا) .[١]

٢٠) الفساد الأخلاقي.

٢١) الشك والوسواس حتى بعد الزواج.

العلاج لهذه المشكلة الخطيرة

١) الخوف من الله ومراقبته في السر والعلانية: قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الحشر: ١٨]. قال تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن: ٤٦] **وَقَالَ بِشْرٌ لِلْفُضَيْلِ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ : **(عِظْنِي يَرْحَمُكَ اللهُ، فَقَالَ: مَنْ خَافَ اللهَ تَعَالَى دَلَّهُ الْخَوْفُ عَلَى كُلِّ خَيْرٍ)**[٢].

٢) إشغال الوقت بما يفيد: وتوفير ولي الأمر الشيء الذي يشغل الأبناء في الوقت

---

(١) رواه البيهقي في "الشعب" (١٩٦/٢) ، والخرائطي في "مساوئ الأخلاق" (٥/٢) وأبو نعيم في "الحلية" (٣٧٩/٥) .

(٢) "تزكية النّفُوسْ" (ص١٢) .

بالفائدة. يقول الشاعر:

دَقَّـــاتُ قَلْـــبِ المَـــرْءِ قَائِلَـــةً لَـــهُ إِنَّ الحَيَـــاةَ دَقَـــائِقٌ وَثَـــوَانِ

❁ وقال خليفة المسلمين الصالح عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ : إِنَّ اللَّيْل والنَّهَارَ يَعْمَلانِ فِيكَ فَاعْمِلْ فِيهِمِا.(١)

٣) التربية الصالحة: ولذلك يقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**». رواه مسلم .(٢)

❁ قال بعض الحكماء: (**من أدَّب ولده** صغيرًا سُرَّ به كبيرًا)(٣).

٤) الرفقة الصالحة، ومعرفة من يكونون: فعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ ، أنه قال : «**لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ**» رواه أبو داود والترمذي (٤).

❁ وقال عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ : وحدة المرء خيرٌ من جليس السوء.

❁ وقال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

إذا لم أجدْ خِلًا تقيًا فوحـــدتي ألذُّ وأشهى من غويٍ أعاشـرْه

وأجلسُ وحدي للعـــبادةِ آمنا أقرُّ لعيني من جليسٍ أحاذرْهْ

٥) المعاملة بالحسنى واللطف: كما قال تعالى :﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ [النحل: ١٢٥]

---

(١) "مكارم الأخلاق" (ص٤٤) لابن أبي الدنيا .

(٢) برقم(١٦٣١) .

(٣) أورده المبرّد في "الكامل" (٤٥/١)، وانظر "عين الأدب والسياسة" لابن هُذيل (ص٦٢) .

(٤) وحسنه العلامة الالباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعليقه على "المشكاة" (٥٠١٨) .

وقَالَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : خَالِطُوا النَّاسَ بِالْأَخْلَاقِ وَزَايِلُوهُمْ[١] بِالْأَعْمَال .[٢]

٦) قطع دابر الجريمة من دابرها بإخراج أسبابها: يقول الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴾ [النور: ٢١].

❁ قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لا تجالس امرأة وحدها، ولو كنت تدرسها القرآن.

٧) العناية بالاستغفار والأذكار: لذلك يقول الله عز وجل: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨].

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : « **مَنْ قَالَ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيَّ القَيُّومَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، غُفِرَ لَهُ وَإِنْ كَانَ فَرَّ مِنْ الزَّحْفِ** » رواه أبو داود والترمذي.[٣] قال بعض العلماء: (العبد بين ذنب ونعمة لا يصلحها إلا الحمد والاستغفار)[٤].

٨) ذكر القصص الواقعية للعظة والاعتبار وتبيين خطورة هذا الأمر: قال الله تعالى: ﴿ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ ﴾ [يوسف: ٣] ، وقال تعالى آمرا عباده بالعظة والاعتبار: ﴿ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴾ [الأنعام: ١١]. يقول أحد السلف: (إنما القصص جند من جنود الله).

٩) الإقناع بالدليل الشرعي والعقلي: وهذا يتمثل في قصة الشاب الذي جاء إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ. مَهْ. فَقَالَ: " ادْنُهْ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا ". قَالَ: فَجَلَسَ قَالَ: " أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟ " قَالَ: لَا. وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ.

---

(١) زايل : فارق .

(٢) "مداراة الناس" لابن أبي الدنيا رقم (٢١) .

(٣) وصححه العلامة الالباني رحمه الله في "صحيح أبي داود"(١٣٥٨) وانظر "الصحيحة" (٢٧٢٧) .

(٤) انظر "فيض القدير" عند حديث رقم (٨٤١٩) .

قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ ". قَالَ: " أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟ " قَالَ: لَا. وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ ". قَالَ: " أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟ " قَالَ: لَا. وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ ". قَالَ: " أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ " قَالَ: لَا. وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ ". قَالَ: " أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟ " قَالَ: لَا. وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ ". قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: " **اللهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ** " قَالَ : فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ »[(١)]

١٠) متابعة الهاتف وعدم تركه دون متابعة: وهذا يتمثل بمسؤولية ولي الأمر، وكما في الحديث الصحيح: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**» متفق عليه[(٢)].

١١) الزواج المبكر وهذا آية من آيات الله: كما قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١] يقول : ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : «لَا يَتِمُّ نُسُكُ النَّاسِكِ حَتَّى يَتَزَوَّجَ).

١٢) عدم السهر: والله عز وجل يقول: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴾ [النبأ: ١٠، ١١] وكان النبي ﷺ يكره النوم قبل العشاء والحديث بعدها.

١٣) غض البصر: ولذلك يقول الله عز وجل آمرا المؤمنين والمؤمنات: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [النور: ٣٠] ومن أتبع بصره هواه هوى به في الحضيض.

١٤) المحافظة على لباس الحشمة والطهارة: ولذلك أمر الله عز وجل بعدم إبداء الزينة

---

(١) رواه أحمد في مسند أبي أمامه رضي الله عنه ، وقال شيخنا مقبل الوادعي في "الصحيح المسند" رقم (٥٠٠) حديث صحيح وياله من موعظة وتوجيه للدعاة إلى الله . اهـ

(٢) البخاري (٢٤٠٩)ومسلم (١٨٢٩) .

قال: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور: ٣١].

١٥) ترك فضول الكلام في الهاتف مع أي شخص.

١٦) الاهتمام والانتباه لسلوك الشاب أو الشابة والسؤال عن سبب ذلك في أول الأمر وأخذ حلوله وأخذ جولة يتفقد منها أولاده في أوقات متفاوتة وغير مرتبة.

١٧) عدم الخوض وطرق القصص الغرامية والروايات التي تركز على الجانب الجنسي، أو متابعة مواقع الإنترنت المهتمة بذلك والمشاهد الحساسة، أو الأشياء الخاصة للمتزوج عند العزاب خاصة "المراهقين" لضرر ذلك عليهم.

١٨) إخراج آلات اللهو سواء المشاهد أو المقروء وأخص بالذات الدشوش، قبل وقوع البلاء.

١٩) إنفاق المال دون إسراف أو تقتير، وهذا مما يجعل أنه يمنع من وقوع الجريمة.

۞ قالت أخت عمر بن عبد العزيز: (أُفٍّ لِلْبُخْلِ وَاللَّهِ لَوْ كَانَ طَرِيقًا مَا سَلَكْتُهُ وَلَوْ كَانَ ثَوْبًا مَا لَبِسْتُهُ) .[1]

وأخيرا.. على المسلم..

أن يتذكر بأنه مسؤول عن كل فعل عند الله عز وجل قال الله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨] وقال الله سبحانه و تعالى: ﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١١، ١٢] وليتذكر أنه رب كلمة أودت بصاحبها النار سبعين خريفا. نسأل الله السلامة والعافية وفي الحقيقة قد أطلنا في هذه النقطة بشكل زائد عن حده الطبيعي، ولكن للأهمية البالغة أطلنا والله المستعان وعودًا على بدء ننتقل إن شاء الله إلى النقطة التالية بعدها من الأمور العاصمة للشهوات المحرمة.

---

(١) "مجالسة وجواهر العلم" (٥٣) للدينوري .

الحذر من الخلوة المحرمة بالنساء الأجنبيات والمردان

فمن العواصم أيضا الحذر من الخلوة المحرمة بالنساء الأجنبيات[١] والمردان فإنها بريد الفواحش لا سيما الحذر من دخول الأقارب غير المحارم على المرأة في البيت عند غياب زوجها لأنه لا تخلو بعض البيوت من وجود أقارب للزوج من غير محارم زوجته ، يعيشون معه في بيته لبعض الظروف الاجتماعية ، كإخوانه مثلًا ، ممن هو طالب أو أعزب، ويدخل هؤلاء البيت دون غرابة ، لأنهم معروفون بين أهل الحي بقرابتهم لصاحب البيت ، فهذا أخوه أو ابن أخيه ، أو عم أو خال ، وهذه السهولة في الدخول قد تولد مفاسد شرعية تُغضب الله إذا لم تضبط بالحدود الشرعية ، والأصل في هذا حديثه ﷺ : «**إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ**»[٢] فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَرَأَيْتَ الحَمْوَ؟ قَالَ: «**الحَمْوُ المَوْتُ**» رواه البخاري ومسلم.[٣]

۞ قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : المراد بِالْحَمْوِ هُنَا في الحديث أقارب الزوج غير آبائه أو أبنائه ، لأنهم محارم للزوجة يجوز لهم الخلوة بها ، ولا يوصفون بالموت ، قال : وإنما المراد الأخ وابن الأخ والعم ، وابن العم ، وابن الأخت وغيرهم ممن يحل لهم التزوج بها لو لم تكن متزوجة ، وجرت العادة بالتساهل فيه فيخلو الأخ بامرأة أخيه فشبهه بالموت ، وهو أولى بالمنع من الأجنبي اهـ.[٤]

---

(١) قال الإمام الشوكاني رحمه الله في "نيل الأوطار" : (١٢٠/٦) والخلوة بالأجنبية مجمع على تحريمها كما حكى ذلك الحافظ في الفتح . وعلى التحريم ما في الحديث من كون الشيطان ثالثهما وحضوره يوقعهما في المعصية وأما مع وجود المحرم فالخلوة بالأجنبية جائزة لامتناع وقوع المعصية مع حضوره . انتهى

(٢) يعني : الخلوة بهن.

(٣) البخاري (٤٩٣٤)ومسلم(٥٨٠) .

(٤) "فتح الباري" (٣٣١/٩) .

❁ وقال التِّرْمِذِيُّ : يُقَالُ : هُوَ أَخُو الزَّوْجِ ، وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ اللَّيْثِ أَنَّهُ قَالَ : الْحَمْوُ : أَخُو الزَّوْجِ وَمَا أَشْبَهَهُ مِنْ أَقَارِبِ الزَّوْجِ ، ابْنُ الْعَمِّ وَنَحْوُهُ وَقَالَ النَّوَوِيُّ : اتَّفَقَ أَهْلُ اللُّغَةِ عَلَى أَنَّ الْأَحْمَاءَ : أَقَارِبُ زَوْجِ الْمَرْأَةِ كَأَبِيهِ وَأَخِيهِ وَابْنِ أَخِيهِ وَابْنِ عَمِّهِ وَنَحْوِهِمْ ، وَأَنَّ الْأَخْتَانَ : أَقَارِبُ زَوْجَةِ الرَّجُلِ ، وَأَنَّ الْأَصْهَارَ تَقَعُ عَلَى النَّوْعَيْنِ . اهـ [١]

وقوله الحمو الموت له عدة معان منها :ما ذكره العلامة الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نيل الأوطار (١٢٢/٦).

❁ قَوْلُهُ : (الْحَمْوُ الْمَوْتُ) أَيْ الْخَوْفُ مِنْهُ أَكْثَرُ مِنْ غَيْرِهِ كَمَا أَنَّ الْخَوْفَ مِنْ الْمَوْتِ أَكْثَرُ مِنْ الْخَوْفِ مِنْ غَيْرِهِ) والمقصود أن خلوة الحمو أشد خطرًا من خلوة الغريب وفي كل خطر، وذلك لأن دخول القريب لا يثير ريبة ولا يلفت الأنظار، فكان صدور الخطر منه أسهل فهذا وإراقة الدماء سواء، وهو أقدر على فعل الحرام لتيسير المكان ووجود الإمكان.اهـ

فلهذا حرصت الشريعة على حفظ البيوت ، ومنع معاول التخريب، فماذا نقول الآن بعد بيانه صلى الله عليه وسلم في هؤلاء الأزواج الذين يقولون لزوجاتهم : (إذا جاء أخي ولست بموجود فأدخليه المجلس) ، أو تقول هي للضيف : (ادخل المجلس وليس معه ولا معها أحد في البيت) .ونقول للذين يتذرعون بمسألة الثقة، ويقولون أنا أثق بزوجتي ، وأثق بأخي ، وابن عمي ، نقول : لا ترفعوا ثقتكم ولا ترتابوا فيمن لا ريبة فيه ، ولكن اعلموا أن حديثه ﷺ : «**لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ**»، رواه الترمذي[٢]. يشمل أتقى الناس ، وأفجر الناس ، والشريعة لا تستثني من مثل هذه النصوص أحدًا والفتنة غير مأمونة خصوصا في هذا الزمان الذي قل فيه الوازع الديني في الرجال والنساء فيكف إذا كانت الخلوة مع ذلك بين شابين ويخلوا أحدهما مع الآخر ،

---

(١) "نيل الأوطار" (٦/ ١٣٦) .

(٢) برقم (١١٧١) .

ماذا ستكون النتيجة، لهذا يقول الرسول ﷺ : « **لاَ يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ**»[(١)]، وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال : « **لَا يَدْخُلَنَّ رَجُلٌ، بَعْدَ يَوْمِي هَذَا، عَلَى مُغِيبَةٍ، إِلَّا وَمَعَهُ رَجُلٌ أَوِ اثْنَانِ** » رواه مسلم.[(٢)]فالشريعة سدت بمثل هذه النصوص منافذ الشر والطرق الموصلة إليه قال أحد السلف: (لو كنت خاليا بامرأة سوداء شمطاء خرقاء ما أمنت على نفسي منها)، فكيف إذا وجد الحسن والجمال نسأل الله السلامة فلا يجوز لرجل أن يختلي في بيت أو حجرة أو سيارة أو مكتب أو متجر أو مستشفى بامرأة أجنبية عنه كزوجة أخيه أو الخادمة أو مريضة مع طبيب ونحو ذلك وكثير من الناس يتساهلون في هذا إما ثقة بنفسه أو بغيره فيترتب على ذلك الوقوع في الفاحشة أو مقدماتها وتزداد مأساة اختلاط الأنساب وأولاد الحرام .

ولذلك حذرنا الله سبحانه من هذه السبيل المشؤومة بقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴾ [النور: ٢١] والشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ومن سبل الشيطان في الإيقاع في الفاحشة الخلوة بالأجنبية ولذلك فالشريعة سدت هذا الطريق بل وأكبر من ذلك الخلوة بذئب غادر فالواجب شرعا هو اجتناب الخلوة بالمرأة الأجنبية .

لأنه مفتاح الإثم وباب الفجور ومدخل الزنا وطريق اختلاط الأنساب وتداخل الأعراض، ولقد روى البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله : « **لاَ تُبَاشِرُ المَرْأَةُ المَرْأَةَ، فَتَنْعَتَهَا لِزَوْجِهَا كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا** » . [(٣)]

---

(١) رواه البخاري(٢٨٤٤)ومسلم (١٣٤١) عن ا بن عباس رضي الله عنهما .

(٢) برقم (٢١٧٣) .

(٣)(٤٩٤٢) .

فما بالك بمن يكون راضيًا مختارًا بإدخال الأجنبي على أهله ويعتبر ذلك من الثقة وحسن الظن فحينها يترتب على ذلك ما يترتب من الشر والفساد .

ويا لله كم من رجل يعول أولاد زنا أخيه أو قريبه من زوجته وهو يحسب أنهم أولاده، يرثونه وهم أولاد زنا ، ويدخلون على محارمه وهم أولاد زنا ، وكم من رجل طلبت زوجته الطلاق منه لتتزوج بأخيه أو قريبه الذي كان يخلو بها ويدخل عليها، بل وكم من مطلق زوجته ليتزوج بأختها وقريبتها الذي مكن من الخلوة بها والنظر إليها .فكيف يأمن رجل غيور أن يخلو أجنبي بعرضه ؟ كيف يطيب له أن يذهب إلى عمله ويترك الحمو الذي هو الموت في خلوة مع زوجته أو ذوات قرابته ؟! فرب نظرة أوقعت في القلب من إبليس سهامًا ورب خطرة أولعت في قلب الأجنبي حرقة وهيامًا ؟! أما علم أنه ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما، وما ظنك باثنين الشيطان ثالثهما.

ومعلوم أن العصمة أخي المسلم لا تكون إلا للملائكة الكرام أو للأنبياء والمرسلين. ومن أصر بعد هذا البيان على الدخول على الأجنبيات أو على إدخال الأجنبي على قريباته فقد عصى الله عامدًا متعمداً.

❁ تنبيه : إذا تبين ما تقدم من تحريم الخلوة بالأجنبية حينئذ نعلم خطأ الذين يجعلون من أيام الخطبة أيامًا للخلوّة والنزهة ولربما للسفر والمتعة.

❁ يقول ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه "المغني" : ولا يجوز للخاطب الخلوة بالمخطوبة لأنَّها محرَّمة ، ولم يرد الشرع بغير النظر ، ولأنه لا يؤمن مع الخلوة مواقعة المحظور. اهـ[1]

ويزعم الذين انحرف بهم المسار عن دين الله وشرعه أنَّ مصاحبة الخاطب للمخطوبة، والخلوة بها ، والسفر معها ، أمرٌ لابد منه لأنَّه يؤدي إلى تعرّف كل على صاحبه.

ومن نظر في مسيرة الغرب في هذه المسألة وجد أنَّ سبيلهم لم يؤد إلى التعارف

---

(١) "المغني"(٦٩/١٥).

والتآلف بين الخاطبين ، فكم من خاطب فارق من خطبها بعد أن يفقدها شرفها ، وقد يتركها ، ويترك في رحمها جنينًا تشقى به وحدها ، وقد ترميه من رحمها من غير رحمةٍ حتى الذين توصلهم الخطبة إلى الزواج كثيرًا ما يكتشف كلٌ من الزوجين أنَّ تلك الخطبة الطويلة لم تكشف له الطرف الآخر. ذلك أنَّ كل واحد منهما كان يتكلف غير طباعه أثناء تلك الفترة حتى إذا استقر بهما المقام بالزواج عاد كل واحد منهما إلى طباعه الحقيقية ، ولذلك يصاب كثير من الأزواج بصدمة بعد الزواج يشعر أنَّ الطرف الآخر قد مكر به.

والكشف عن أخلاق الطرف الآخر وطباعه يمكن التعرف عليها ممن جاوروا الفتاة وأهلها ، أومن عرفهم عن طريق الصداقة والقرابة. فالأمر متيسر ولله الحمد

أما الاختلاء بالأمرد والفتنة به فإنها قد تكون أحيانا أشد وأعظم من الاختلاء بالمرأة.

❁ قال الهيتمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : وحرّم كثير من العلماء الخلوة بالأمرد في نحو بيت أو دكان كالمرأة لقوله صلى الله عليه وسلم: « **مَا خَلا رَجُلٌ وَامْرَأَةٌ إِلا دَخَلَ الشَّيْطَانُ بَيْنَهُمَا** ».[١]

بل من المردان من يفوق النساء بحسنه، فالفتنة به أعظم ؛ ولأنه يمكن في حقه من الشرّ ما لا يمكن في حق النساء وَيَتَسَهَّلُ فِي حَقِّهِ مِنْ طُرُقِ الرِّيبَةِ وَالشَّرِّ مَا لَا يَتَيَسَّرُ فِي حَقِّ الْمَرْأَةِ فَهُوَ بِالتَّحْرِيمِ أَوْلَى ، وَأَقَاوِيلُ السَّلَفِ فِي التَّنْفِيرِ عَنْهُمْ وَالتَّحْذِيرِ مِنْ رُؤْيَتِهِمْ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَرَ ، ". اهـ[٢]

❁ قال الحسن بن ذكوان: "لا تجالس أولاد الأغنياء، فإن لهم صورًا كصور العذارى،

---

(١) ضعيف جدا بهذا اللفظ كما في السلسلة الضعيفة (٦٠٥٧) .

(٢) "الزواجر عن اقتراف الكبائر" الكبيرة التاسعة والخمسون .

وهم أشدّ فتنةً من النساء".[١]

❁ قَالَ بَعْضُ التَّابِعِينَ : مَا أَنَا بِأَخْوَفَ عَلَى الشَّابِّ النَّاسِكِ مِنْ سَبُعٍ ضَارٍ مِنْ الْغُلَامِ الْأَمْرَدِ يَقْعُدُ إلَيْهِ .[٢]

❁ ودَخَلَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وَنَاهِيك بِهِ مَعْرِفَةً وَعِلْمًا وَزُهْدًا وَتَقَدُّمًا - الْحَمَّامَ فَدَخَلَ عَلَيْهِ صَبِيٌّ حَسَنُ الْوَجْهِ فَقَالَ أَخْرِجُوهُ عَنِّي أَخْرِجُوهُ عَنِّي فَإِنِّي أَرَى مَعَ كُلِّ امْرَأَةٍ شَيْطَانًا وَمَعَ كُلِّ صَبِيٍّ بِضْعَةَ عَشَرَ شَيْطَانًا .

وَجَاءَ رَجُلٌ إلَى الْإِمَامِ أَحْمَدَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وَمَعَهُ صَبِيٌّ حَسَنُ الْوَجْهِ فَقَالَ لَهُ الْإِمَامُ : مَنْ هَذَا مِنْك ؟ قَالَ ابْنُ أُخْتِي ، قَالَ : لَا تَجِئْ بِهِ إلَيْنَا مَرَّةً أُخْرَى ، وَلَا تَمْشِ مَعَهُ فِي طَرِيقٍ لِئَلَّا يَظُنَّ بِك مَنْ لَا يَعْرِفُك وَيَعْرِفُهُ سُوءًا [٣]

فالله الله في الخلوات فإن انتهاك محارم الله في الخلوة سبب لحبوط العمل

ففي "سنن ابن ماجه" من حديث عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا**» ، قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ، وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ، قَالَ: «**أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا**»[٤]، نسأل الله السلامة والعافية.

---

(١) المرجع السابق .

(٢) المرجع السابق .

(٣) الأثرين أيضا في المصدر السابق .

(٤) وصححه الألباني في "الصحيحة" (٥٠٢٨) ، والوادعي في "الصحيح المسند" (١٨٩) .

الابتعاد عن الاختلاط

فإن اختلاط النساء بالرجال والعكس من أكبر الأخطار وبريد الفواحش والمنكرات.

❁ قال الإمام العلامة شمس الدين ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : متحدثًا عن مفاسد الاختلاط : **وَلَا رَيْبَ أَنَّ تَمْكِينَ النِّسَاءِ مِنْ اخْتِلَاطِهِنَّ بِالرِّجَالِ: أَصْلُ كُلِّ بَلِيَّةٍ وَشَرٍّ، وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ نُزُولِ الْعُقُوبَاتِ الْعَامَّةِ، كَمَا أَنَّهُ مِنْ أَسْبَابِ فَسَادِ أُمُورِ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ، وَاخْتِلَاطُ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ سَبَبٌ لِكَثْرَةِ الْفَوَاحِشِ وَالزِّنَا، وَهُوَ مِنْ أَسْبَابِ الْمَوْتِ الْعَامِّ، وَالطَّوَاعِينِ الْمُتَّصِلَةِ. فَمِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ الْمَوْتِ الْعَامِّ: كَثْرَةُ الزِّنَا، بِسَبَبِ تَمْكِينِ النِّسَاءِ مِنْ اخْتِلَاطِهِنَّ بِالرِّجَالِ، وَالْمَشْيِ بَيْنَهُمْ مُتَبَرِّجَاتٍ مُتَجَمِّلَاتٍ، وَلَوْ عَلِمَ أَوْلِيَاءُ الْأَمْرِ مَا فِي ذَلِكَ مِنْ فَسَادِ الدُّنْيَا وَالرَّعِيَّةِ - قَبْلَ الدِّينِ - لَكَانُوا أَشَدَّ شَيْءٍ مَنْعًا لِذَلِكَ.**(١)

وللأسف فقد توسعت دائرته في الجامعات، بين البنين والبنات والمعاهد، وفي المراكب، والميادين، والفنادق وعلى شواطئ البحار والمستشفيات، والأفراح والاجتماعات وأنواع المنشآت والمكاتب والشركات والمدارس والكليات حيث أصبحنا نرى كثرة النساء العاملات في هذه الأماكن وتزينهن وتبرجهن واختلاطهن مع العاملين والمراجعين وللأسف فقد أصبح له دعاة ومروجون وكل من يدعو إلى اختلاط النساء بالرجال وإلغاء الفوارق بينهم ، إما بصريح القول أو بالتخطيط الماكر البعيد والعمل من وراء الستار فأنه لا حجة له شرعية صحيحة وكأن هذا الداعي يتجاهل ، أو يجهل أن دعوته هذه خلاف الفطرة والجبلة التي خلق الله عليها الذكر والأنثى وفارق بينهما خلقة وخلقا ، وكأن هذا الداعي يتجاهل أو يجهل أن هذا خلاف ما يهدف إليه الشرع من بناء الأخلاق الفاضلة ،

---

(١) "الطرق الحكمية" (ص٤٠٧) .

والبعد عن الرذيلة فلقد شرع النبي ﷺ ما يوجب بعد المرأة عن الاختلاط بالرجل فكان يعزل النساء عن الرجال في الصلاة ويقول خير صفوف النساء آخرها وشرها أولها[1] لماذا يكون شر صفوف النساء أولها لأنه أقرب إلى الرجال من آخرها ، فكان شرها وآخرها أبعد عن الرجال من أولها فكان خيرها ، إذن فكلما ابتعدت المرأة عن الاختلاط بالرجال فهو خير ، وكلما قربت من ذلك فهو شر ، وكأن هذا الداعي إلى اختلاط النساء بالرجال يتجاهل أو يجهل ما حصل لأمة الاختلاط من الويلات والفساد وانحطاط الأخلاق وانتشار الزنا وكثرة أولاد الزنا حتى أصبحوا يتمنون الخلاص من هذه المفاسد فلا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ، ولهذا جاء الإسلام بتحريمه وأمر بالتباعد عن الاختلاط بين الرجال والنساء من غير المحارم ذلك لما يجره الاختلاط من ويلات ونكبات ومصائب عاجلة وآجلة. فالله الله في الغيرة يا أولي الألباب ، ومن جملة أدلة تحريم الاختلاط قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّۚ ﴾ [الأحزاب: ٥٣] يعني إذا سألتم أزواج النبي وهن أطهر النساء .

﴿**فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ**﴾ .. لماذا..؟؟ ﴿**ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ**﴾.

وحسبك بالصحابة طاعة وخوفًا وتعبداً.

فكيف الحال اليوم مع شبابنا وفتياتنا وقد فسد الزمان ؟..

كيف يختلط اليوم شاب بفتاة.. ويقولان صداقة بريئة والله لا يحرم شيئا إلا لمضرته الخالصة أو الراجحة ولا شك أن الاختلاط بين الرجال والنساء أصلُ كل بلية ونقيصة وأساس كل شر ورذيلة ؛ فقد قال النَّبيُّ ﷺ : «**إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ**» فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَرَأَيْتَ الحَمْوَ؟ قَالَ: «**الحَمْوُ المَوْتُ**»

فيا فتاة الإسلام : كوني كما أرادك الله وكما أرادك رسول الله لا كما يريده دعاة الفتنة

---

(١) كما في "صحيح مسلم" (٤٤٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

، وسعاة التبرج والاختلاط فإياك أنْ تكوني معول هدم وآلة تخريب وأداة تغيير في بلاد الإسلام وليعلم أن أكبر أسباب الاختلاط هو النظر إلى الأفلام الهابطة.. التي يختلط فيها الرجال بالنساء.. حتى يقع في قلب الناظر إليها أن الاختلاط أمر عادي..

وإذا تتبعنا الآثار السيئة للجلسات المختلطة في الزيارات الأسرية أو غيرها فسنجد مفاسد كثيرة منها :

أ-أن غالب النساء في مجالس الاختلاط حجابهن معدوم أو مختل فتبدي المرأة الزينة التي نهاها الله عن إبدائها لغير من يحل لها أن تكشف عنده ، في قوله تعالى : ﴿ **وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ منها** ﴾ [النور: ٣١] ويحدث أن تتزين المرأة للأجانب في مجلس الاختلاط مالا تتزين به لزوجها مطلقًا .

ب-رؤية الرجل للنساء في المجلس الواحد وهو سبب لفساد الدين والخلق ، والثوران المحرم للشهوات .

ج-أن الاختلاط هو أخطر الأسباب التي تؤدي إلى ظهور الفواحش؛ واختلاط الأنساب وذلك لسهولة التلاقي بين الرجل والمرأة، وسهولة إجراء موعد للتلاقي بينهما، بخلاف ما لو منع الاختلاط، فإنه حينئذ سيخف معدل الجريمة جداً..

د- برود الغريزة، فكثرة الاختلاط بالمجتمع النسائي يؤدي إلى البرود حتى إذا تزوج كان له الأثر السلبي في جماعه لأهله مما يؤدي إلى أن يكون النسل ضعيفا.

والمفاسد كثيرة وكبيرة نسأل الله السلامة والعافية.

الصيام بكثرة

فإن كثرة الصيام من جملة الدواء الناجح لشهوة الإنسان الثائرة القوية ، ولهذا أرشد إليه النبي ﷺ بقوله : « **يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ**

لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ »،متفق عليه[١] ومعنى وجاء أي : وقاية وعلاج لتخفيف الشهوة فالسبيل الكبير لإحصان الفرج عن السوء إنما يكون بالزواج، والزواج واجب إذا كان عنده القدرة وخاف على نفسه الفتنة فإن لم يكن ثم استطاعة فيكون السبيل هو الاستعانة بكثرة الصيام حتى تفتر شهوته، وخص الشباب لأن الشهوة عندهم أقوى والدوافع أكثر وتأمل كيف خص النبي عليه الصلاة والسلام هاتين المصلحتين من الزواج مع أن المصالح كثيرة ولكن نبه على أخطر الأشياء ولهذا صح عن النبي ﷺ في الحديث الآخر عند أن جاءه رجل فقال : يا رسول الله أتأذن لي أن اختصي ؟ فقال ﷺ : «خِصَاءُ أُمَّتِي الصِّيَامُ »[٢] .

۞ قَالَ الْبَيْضَاوِيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : لَيْسَ الْمَقْصُود مِنْ شَرْعِيَّةِ الصَّوْمِ نَفْس الْجُوعِ وَالْعَطَشِ، بَلْ مَا يَتْبَعُهُ مِنْ كَسْرِ الشَّهَوَات وَتَطْوِيعِ النَّفْسِ الأَمَّارَةِ لِلنَّفْسِ الْمُطْمَئِنَّةِ.[٣]

۞ وقال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : وَلِلصَّوْمِ تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي حِفْظِ الْجَوَارِحِ الظَّاهِرَةِ وَالْقُوَى الْبَاطِنَةِ، وَحِمْيَتِهَا عَنِ التَّخْلِيطِ الْجَالِبِ لَهَا الْمَوَادَّ الْفَاسِدَةَ الَّتِي إِذَا اسْتَوْلَتْ عَلَيْهَا أَفْسَدَتْهَا، وَاسْتِفْرَاغِ الْمَوَادِّ الرَّدِيئَةِ الْمَانِعَةِ لَهَا مِنْ صِحَّتِهَا، فَالصَّوْمُ يَحْفَظُ عَلَى الْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ صِحَّتَهَا، وَيُعِيدُ إِلَيْهَا مَا اسْتَلَبَتْهُ مِنْهَا أَيْدِي الشَّهَوَاتِ، فَهُوَ مِنْ أَكْبَرِ الْعَوْنِ عَلَى التَّقْوَى، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ** ﴾ [البقرة: ١٨٣] [الْبَقَرَةِ ١٨٣] .

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «الصَّوْمُ جُنَّةٌ» .

وَأَمَرَ مَنِ اشْتَدَّتْ عَلَيْهِ شَهْوَةُ النِّكَاحِ وَلَا قُدْرَةَ لَهُ عَلَيْهِ بِالصِّيَامِ، وَجَعَلَهُ وِجَاءَ هَذِهِ

---

(١) البخاري (١٨٠٦) ومسلم (١٤٠٠) عن ابن مسعود رضي الله عنه .

(٢) خرجه العلامة الألباني في " السلسلة الصحيحة "(٤ / ٤٤٤) رقم(١٨٣٠) .

(٣) انتهى من "فتح الباري" (١١٧/٤) .

الشَّهْوَةِ.[١]

❁ وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : لَمَّا كَانَ صَلَاحُ الْقَلْبِ وَاسْتِقَامَتُهُ عَلَى طَرِيقِ سَيْرِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، مُتَوَقِّفًا عَلَى جَمْعِيَّتِهِ عَلَى اللَّهِ، وَلَمِّ شَعَثِهِ بِإِقْبَالِهِ بِالْكُلِّيَّةِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّ شَعَثَ الْقَلْبِ لَا يَلُمُّهُ إِلَّا الْإِقْبَالُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَكَانَ فُضُولُ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَفُضُولُ مُخَالَطَةِ الْأَنَامِ، وَفُضُولُ الْكَلَامِ، وَفُضُولُ الْمَنَامِ، مِمَّا يَزِيدُهُ شَعَثًا، وَيُشَتِّتُهُ فِي كُلِّ وَادٍ وَيَقْطَعُهُ عَنْ سَيْرِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، أَوْ يُضْعِفُهُ أَوْ يَعُوقُهُ وَيُوقِفُهُ، اقْتَضَتْ رَحْمَةُ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ بِعِبَادِهِ أَنْ شَرَعَ لَهُمْ مِنَ الصَّوْمِ مَا يُذْهِبُ فُضُولَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَيَسْتَفْرِغُ مِنَ الْقَلْبِ أَخْلَاطَ الشَّهَوَاتِ الْمُعَوِّقَةِ لَهُ عَنْ سَيْرِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَشَرْعِهِ بِقَدْرِ الْمَصْلَحَةِ، بِحَيْثُ يَنْتَفِعُ بِهِ الْعَبْدُ فِي دُنْيَاهُ وَأُخْرَاهُ، وَلَا يَضُرُّهُ وَلَا يَقْطَعُهُ عَنْ مَصَالِحِهِ الْعَاجِلَةِ وَالْآجِلَةِ.)[٢]، والله أعلم.

تجديد التوبة الصادقة

فالواجب تجديد التوبة الصادقة النصوح من جميع الذنوب والآثام، بين الحين والآخر وعدم التواني أو التسويف فيها وعدم اليأس من إصلاح النفس ، فكما يجب أصلُ التوبة يجب تجديد التوبة والاستغفار كلما تكرر الذنب ،فإن سبيل النجاة من الفتن هو الفرار من الله إليه فينبغي للتائب عدم اليأس والقنوط من رحمة الله ،وإن عظمت ذنوبه وكثرت وتنوعت ولو بلغت عنان السماء فإن باب التوبة والمغفرة والرحمة واسع فالله عز وجل يقول : ﴿ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [يوسف: ٨٧] ويقول تعالى : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: ٥٣] ويقول :﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ

---

(١) "زاد المعاد" (٢٨/٢).

(٢) "زاد المعاد" (٨٦/٢ - ٨٧) .

﴿ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الرعد: ٦] [فالعبد ما دام أنه كلما أذنب تاب وكلما أخطأ رجع واستغفر فإنه حري بالمغفرة وإن تكرر الذنب والتوبة فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا يَحْكِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: « **أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا، فَقَالَ: اللهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ** »،[(١)] أي ما دمت تائبا أواها منيبا فهذه توبة مقبولة وإن تكرر الذنب فإنه كلما كرر العبد التوبة مستوفيا شروطها قبلت منه أما الاستغفار بدون توبة فلا يستلزم المغفرة بل هو سبب من الأسباب التي ترجى بها المغفرة][(٢)] أعاننا الله على أنفسنا.

محاسبة النفس

فتحاسب نفسك على كل ما تعمله محاسبة الشريك الشحيح لشريكه ولا شك أن محاسبة النفس من أكبر السبل لإصلاحها وإبعادها عن الشهوات المحرمة والإقلاع عنها وعدم العودة إليها وقد أمر الله تعالى عباده أن يحاسبوا أنفسهم فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨]

۞ قال العلامة المحقق السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : وهذه الآية الكريمة أصل في محاسبة العبد

---

(١) "صحيح البخاري" رقم (٧٥٠٧) و"صحيح مسلم" رقم (٢٧٥٨) .

(٢) انظر "فقه الأدعية والأذكار" (ص٥٠٥) للبدر .

نفسه، وأنه ينبغي له أن يتفقدها، فإن رأى زللا تداركه بالإقلاع عنه، والتوبة النصوح، والإعراض عن الأسباب الموصلة إليه، وإن رأى نفسه مقصرا في أمر من أوامر الله، بذل جهده واستعان بربه في تكميله وتتميمه، وإتقانه، ويقايس بين منن الله عليه وإحسانه وبين تقصيره، فإن ذلك يوجب له الحياء بلا محالة.

والحرمان كل الحرمان، أن يغفل العبد عن هذا الأمر، ويشابه قوما نسوا الله وغفلوا عن ذكره والقيام بحقه، وأقبلوا على حظوظ أنفسهم وشهواتها، فلم ينجحوا، ولم يحصلوا على طائل، بل أنساهم الله مصالح أنفسهم، وأغفلهم عن منافعها وفوائدها، فصار أمرهم فرطا، فرجعوا بخسارة الدارين، وغبنوا غبنا، لا يمكنهم تداركه، ولا يجبر كسره، لأنهم هم الفاسقون، الذين خرجوا عن طاعة ربهم وأوضعوا في معاصيه. اهـ

ويروى عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا وَزِنُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا وَتَزَيَّنُوا لِلْعَرْضِ الْأَكْبَرِ ، يَوْمَ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ».(١)

❁ وقال مَيْمُونَ بْنَ مِهْرَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ: «لَا يَكُونُ الرَّجُلُ مِنَ الْمُتَّقِينَ حَتَّى يُحَاسَبَ نَفْسَهُ أَشَدَّ مِنْ مُحَاسَبَةِ شَرِيكِهِ ».(٢)

❁ ويقول الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ : لَا يَزَالُ الْعَبْدُ بِخَيْرٍ مَا كَانَ لَهُ وَاعِظٌ مِنْ نَفْسِهِ، وَكَانَتِ الْمُحَاسَبَةُ مِنْ هِمَّتِهِ.(٣)

وتأمل جيدًا في كلام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ وهو يحذر من إهمال محاسبة النفس فيقول: أضرّ ما على المكلّف الإهمال وترك المحاسبة، والاسترسال، وتسهيل الأمور وتمشيتُها؛ فإن

---

(١) انظر "الضعيفة" (١٢٠١) .

(٢) "الزهد" لوكيع بن الجرّاح رحمه الله تحقيق الفريوائي (٥٠١) .

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا رحمه الله في "محاسبة النفس" رقم (٦) .

هذا يؤول به إلى الهلاك، وهذا حال أهل الغرور يغمض عينيه عن العواقب، ويمشّي الحال، ويتكل على العفو، فيهمل محاسبة نفسه والنظر في العاقبة، وإذا فعل ذلك سهل عليه مواقعة الذنوب وأنسَ بها وعسر عليه فطامها.(١)

ولقد أجاد من قال :

والنفس كالطفل إن تهمله شب على حب الرضـــــاع وإن تفطمه ينفطم

فالمحاسبة هي التي تُعرِّف الإنسان بعيوب نفسه وجوانب ضعفها، وهي التي تعينه على علاجها.

❁ قال ابن أبي الدنيا رَحِمَهُ ٱللَّهُ : حدثني رجل من قريش ذكر أنه من ولد طلحة ابن عبيدالله قال : كان توبة بن الصمة بالرقة وكان محاسبا لنفسه فحسب يومًا فإذا هو ابن ستين سنة فحسب أيامها فإذا هي احدى وعشرون ألف يوم وخمسمائة يوم فصرخ وقال : يا ويلتي ! ألقى ربي بأحد وعشرين ألف ذنب كيف وفي كل يوم آلاف من الذنوب ثم خر مغشيا عليه فإذا هو ميت رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٢)، نسأل الله العافية.

مجاهدة النفس

ومن العواصم العظيمة مجاهدة النفس في قهر الهوى والشهوات والملذات المحرمة ؛ ولهذا قال الله تعالى : ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ [الحج: ٧٨] .

❁ قال عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ : هو مجاهدة النفس والهوى ، وقال الله سبحانه وتعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩] .

❁ قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : علق سبحانه الهداية بالجهاد، فأكمل الناس هداية

---

(١) "مختصر إغاثة اللهفان" (ص٨١) .

(٢) "مختصر إغاثة اللهفان" (ص٨١) .

أعظمهم جهادًا، وأفرض الجهاد جهاد النفس، وجهاد الهوى، وجهاد الشيطان، وجهاد الدنيا فمن جاهد هذه الأربعة في الله هداه الله سبل رضاه الموصلة الى جنته، ومن ترك الجهاد فاته من الهدى بحسب ما عطل من الجهاد.(١).

❁ وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ : إن جهاد الهوى إن لم يكن أعظم من جهاد الكفار فليس بدونه قال رجل للحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ : يا أبا سعيد أي الجهاد أفضل ، قال : جهادك هواك .

❁ وسمعت شيخنا يقول : جهاد النفس والهوى أصل جهاد الكفار والمنافقين فإنه لا يقدر على جهادهم حتى يجاهد نفسه وهواه أولا حتى يخرج إليهم.(٢)

❁ وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : أعجب الأشياء مجاهدة النفس لأنها تحتاج إلى صناعة عجيبة فإن أقواما أطلقوها فيما تحب فأوقعتهم فيما كرهوا.(٣)

❁ وقال أيضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ : فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَكَيْفَ يَتَخَلَّصُ مِنَ هَذَا مَنْ قَدْ نَشِبَ فِيهِ؟

قِيلَ لَهُ: بِالْعَزْمِ الْقَوِيِّ فِي هِجْرَانِ مَا يُؤْذِي وَالتَّدَرُّجِ فِي تَرْكِ مَالا يُؤْمَنُ أَذَاهُ وَهَذَا يَفْتَقِرُ إِلَى صَبْرٍ وَمُجَاهَدَةٍ يُهَوِّنُهُمَا سَبْعَةُ أَشْيَاءَ:

أَحَدُهَا: التَّفَكُّرُ فِي أَنَّ الإِنْسَانَ لَمْ يُخْلَقْ لِلْهَوَى، وَإِنَّمَا هُيِّئَ لِلنَّظَرِ فِي الْعَوَاقِبِ وَالْعَمَلِ لِلآجِلِ. وَيَدُلُّ عَلَى هَذَا أَنَّ الْبَهِيمَةَ تُصِيبُ مِنْ لَذَّةِ الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ والمنكح مَالا يَنَالُهُ الإِنْسَانُ، مَعَ عَيْشٍ هَنِيٍّ خَالٍ عَنْ فِكْرٍ وَهَمٍّ،

وَلِهَذَا تُسَاقُ إِلَى مَنْحَرِهَا وَهِيَ مُنْهَمِكَةٌ عَلَى شَهَوَاتِهَا، لِفُقْدَانِ الْعِلْمِ بِالْعَوَاقِبِ.

وَالآدَمِيُّ لَا يَنَالُ مَا تَنَالُهُ لِقُوَّةِ الْفِكْرِ الشَّاغِلِ، وَالْهَمِّ الْوَاغِلِ، وَضَعْفِ الآلَةِ الْمُسْتَعْمَلَةِ.

فَلَوْ كَانَ نَيْلُ الْمُشْتَهَى فَضِيلَةً لَمَا بُخِسَ حَظُّ الآدَمِيِّ الشَّرِيفِ مِنْهُ، وَزِيدَ حَظُّ الْبَهَائِمِ،

---

(١) كما في "فوائد الفوائد" (ص١٧٧).

(٢) "روضة المحبين" (٤٧٨/١).

(٣) "صيد الخاطر" (ص١٤٥).

وَفِي تَوْفِيرِ حَظِّ الآدَمِيِّ مِنَ الْعَقْلِ وَبَخْسِ حَظِّهِ مِنَ الْهَوَى، مَا يَكْفِي فِي فَضْلِ هَذَا وَذَمِّ ذَلِكَ.

وَالثَّانِي : أَنَّ يُفَكِّرَ فِي عَوَاقِبِ الْهَوَى،فَكَمْ قَدْ أَفَاتَ مِنْ فَضِيلَةٍ، وَكَمْ قَدْ أَوْقَعَ فِي رَذِيلَةٍ، وَكَمْ مِنْ مَطْعَمٍ قَدْ أَوْقَعَ فِي مَرَضٍ، وَكَمْ مِنْ زَلَّةٍ أَوْجَبَتِ انْكِسَارَ جَاهٍ وَقُبْحَ ذِكْرٍ مَعَ إِثْمٍ!غَيْرَ أَنَّ صَاحِبَ الْهَوَى لَا يَرَى إِلا الْهَوَى!

فَأَقْرَبُ الأَشْيَاءِ شَبَهًا بِهِ مَنْ فِي الْمَدْبَغَةِ، فَإِنَّهُ لَا يَجِدُ رِيحَهَا حَتَّى يَخْرُجَ فَيَعْلَمَ أَيْنَ كَانَ.

وَالثَّالِثُ : أَنْ يَتَصَوَّرَ الْعَاقِلُ انْقِضَاءَ غَرَضِهِ مِنْ هَوَاهُ، ثُمَّ يَتَصَوَّرَ الأَذَى الْحَاصِلَ عُقَيْبَ اللَّذَّةِ، فَإِنَّهُ يَرَاهُ يَرْبَى عَلَى الْهَوَى أَضْعَافًا. وَقَدْ أَنْشَدَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ:

وَأَفْضَلُ النَّاسِ مَنْ لَمْ يَرْتَكِبْ سَبَبًا ... حَتَّى يُمَيِّزَ مَا تَجْنِي عَوَاقِبُهُ

وَالرَّابِعُ : أَنْ يَتَصَوَّرَ ذَلِكَ فِي حَقِّ غَيْرِهِ ثُمَّ يَتَلَمَّحَ عَاقِبَتَهُ بفكره فَإِنَّهُ سير مَا يَعْلَمُ بِهِ عَيْبَهُ إِذَا وَقَفَ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ.

وَالْخَامِسُ : أَنْ يَتَفَكَّرَ فِيمَا يَطْلُبُهُ مِنَ اللَّذَّاتِ، فَإِنَّهُ سَيُخْبِرُهُ الْعَقْلُ أَنَّهُ لَيْسَ بِشَيْءٍ وَإِنَّمَا عَيْنُ الْهَوَى عَمْيَاءُ.

وَفِي الْحَدِيثِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (إِذَا أَعْجَبَتْ أَحَدَكُمُ امْرَأَةٌ فَلْيَذْكُرْ مَنَاتِنَهَا)

وَهَذَا أَحْسَنُ مِنْ قَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ:

لَوْ فَكَّرَ الْعَاشِقُ فِي مُنْتَهَى ... حُسْنِ الَّذِي يُسْبِيهِ لَمْ يُسْبِهِ

لأَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ ذَكَرَ الْحَالَ الْحَاضِرَةَ الْمُلازِمَةَ وَأَبُو الطَّيِّبِ أَحَالَ عَلَى أُمُورٍ مُتَأَخِّرَةٍ إِلا أَنْ يَكُونَ أَشَارَ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى.

وَالسَّادِسُ : أَنْ يَتَدَبَّرَ عِزَّ الْغَلَبَةِ وَذُلَّ الْقَهْرِ، فَإِنَّهُ مَا مِنْ أَحَدٍ غَلَبَ هَوَاهُ إِلا أَحَسَّ بِقُوَّةِ عَزٍّ، وَمَا مِنْ أَحَدٍ غَلَبَهُ هَوَاهُ إِلا وَجَدَ فِي نَفْسِهِ ذُلَّ الْقَهْرِ.

وَالسَّابِعُ : أَنْ يَتَفَكَّرَ فِي فَائِدَةِ الْمُخَالَفَةِ لِلْهَوَى، مِنَ اكْتِسَابِ الذِّكْرِ الْجَمِيلِ فِي الدُّنْيَا، وَسَلامَةِ النَّفْسِ وَالْعِرْضِ، وَالأَجْرِ فِي الآخِرَةِ. ثُمَّ يَعْكِسَ، فَيَتَفَكَّرَ لَوْ وَافَقَ هَوَاهُ، فِي حُصُولِ

عَكْسِ ذَلِكَ عَلَى الأَبَدِ، وَلْيَفْرِضْ لِهَاتَيْنِ الْحَالَتَيْنِ حَالَتَيْ آدَمَ ويوسف عَلَيْهِمَا السَّلَام ،فِي لذة هَذَا، وصبر هَذَا.اهـ[١]

ولهذا ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : «**الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي اللَّهِ**»، أخرجه أحمد والترمذي[٢].

وبين الله تعالى أن من جاهد نفسه وقمع هواه فإنما ثمرة المجاهدة والمكابدة عائدة إليه قال تعالى :﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦].

۞ قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "صيد الخاطر"[٣] : تأملت أمرًا عجيبًا وأصلًا ظريفًا، وهو انهيال الابتلاء على المؤمن، وعرض صورة اللذات عليه، مع قدرته على نيلها، وخصوصًا ما كان في غير كلفة من تحصيله، كمحبوب موافق في خلوة حصينة. فقلت: سبحان الله! ها هنا يبين أثر الإيمان، لا في صلاة ركعتين، والله، ما صعد يوسف عليه السلام، ولا سعد إلا في مثل ذلك المقام.

فبالله عليكم يا إخواني، تأملوا حاله، لو كان وافق هواه، من كان يكون؟! وقيسوا بين تلك الحالة وحالة آدم عليه السلام، ثم زنوا بميزان العقل عقبى تلك الخطيئة، وثمرة هذا الصبر، واجعلوا فهم الحال عدة عند كل مُشْتهًى.

وإن اللذات لتعرض على المؤمن، فمتى لقيها في صف حربه وقد تأخر عنه عسكر التدبر للعواقب، هزم.

وكأني أرى الواقع في بعض أشراكها، ولسان الحال يقول له: قف مكانك، أنت وما اخترت لنفسك. فغاية أمره الندم والبكاء، فإن أمن إخراجه من تلك الهوة، لم يخرج إلا

---

(١) ذم الهوى، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي رحمه الله ، (ص٢٩،٣٠) بتصرف يسير

(٢) صححه العلامة الالباني رحمه الله في "السلسلة الصحيحة" (٥٤٩)والوادعي رحمه الله في "الصحيح المسند"(١٠٦٥) .

(٣) (ص١٣٥) .

مدهونًا بالخدوش. وكم من شخص زلت قدمه، فما ارتفعت بعدها.

ومن تأمل ذل إخوة يوسف عليهم السلام يوم قالوا: ﴿**وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا**﴾ [يوسف: ٨٨] عرف شؤم الزلل، ومن تدبر أحوالهم، قاس ما بينهم وبين أخيهم من الفروق، وإن كانت توبتهم قبلت؛ لأنه ليس من رقع وخاط كمن ثوبه صحيح.

ورب عظم هِيضَ لم ينجبر، فإن جبر، فعلى وهيٍ.

فتيقظوا -إخواني- لعرض المشتهيات على النفوس، واستوثقوا من لجم الخيل، وانتبهوا للغيم، إذا تراكم بالصعود إلى تلعة ، فربما مد الوادي فراح بالركب. اهـ

❁ وقال [(١)]:بالله عليك يا مرفوع القدر بالتقوى، لا تبع عزها بذل المعاصي! وصابر عطش الهوى في هجير المشتهى، وإن أمض وأرمض، فإن بلغت النهاية من الصبر، فاحتكم وقل، فهو مقام "من لو أقسم على الله لأبره".

تالله لولا صبر عمر، ما انبسطت يده بضرب الأرض بالدرة .

ولولا جد أنس بن النضر في ترك هواه، وقد سمعت من آثار عزمته: "لئن أشهدني الله مشهدًا؛ ليرين الله ما أَصْنَعُ" فأقبل يوم أُحُدٍ يقاتل حتى قتل، فلم يعرف إلا ببنانه ، فلولا هذا العزم، ما كان انبساط وجهه يوم حلف: والله، لا تكسر سن الربيع.

بالله عليك، تذوق حلاوة كف الكف عن المنهيِّ؛ فإنها شجرة تثمر عز الدنيا وشرف الآخرة، ومتى اشتد عطشك إلى ما تهوى، فابسط أنامل الرجاء إلى من عنده الري الكامل، وقل: قد عيل صبر الطبع في سنيه العجاف، فعجل لي العام الذي فيه أغاث وأعصر.

بالله عليك، تفكر فيمن قطع أكثر العمر في التقوى والطاعة، ثم عرضت له فتنة في الوقت الأخير، كيف نطح مركبه الجرف فغرق وقت الصعود! أف والله للدنيا -لا بل للجنة- إن أوجب نيلها إعراض الحبيب!

---

(١)في "صيد الخاطر" (ص١٥٢) .

إنما نسب العامي باسمه واسم أبيه، أما ذوو الأقدار، فالألقاب قبل الأنساب قل لي: من أنت؟ وما عملك؟ وإلى أي مقام ارتفع قدرك؟

يا من لا يصبر لحظة عما يشتهي! بالله عليك، أتدري من الرجل؟!

الرجل -والله- من إذا خلا بما يحب من المحرم، وقدر عليه، وتقلقل عطشًا إليه، نظر إلى نظر الحق إليه، فاستحى من إجالة همة فيما يكرهه، فذهب العطش.

كأنك لا تترك لنا إلا ما لا تشتهي، أو ما لا تصدق الشهوة فيه، أو ما لا تقدر عليه!!

كذا والله عادتك! إذا تصدقت، أعطيت كسرة لا تصلح لك، أو في جماعة يمدحونك.

هيهات! والله، لا نلت ولا يتنا حتى تكون معاملتك لنا خالصةً، تبذل أطايبك، وتترك مشتهياتك، وتصبر على مكروهاتك. اهـ بتصرف .

❁ وقد ضرب الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ مثلا عظميا في ما يتعلق بتزكية النفس وترويضها أورده في كتابه الجليل "مدارج السالكين" [1] فقال : فَالنَّفْسُ جَبَلٌ عَظِيمٌ شَاقٌّ فِي طَرِيقِ السَّيْرِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَكُلُّ سَائِرٍ لَا طَرِيقَ لَهُ إِلَّا عَلَى ذَلِكَ الْجَبَلِ. فَلَابُدَّ أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَيْهِ، وَلَكِنَّ مِنْهُمْ مَنْ هُوَ شَاقٌّ عَلَيْهِ وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ سَهْلٌ عَلَيْهِ. وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ.

وَفِي ذَلِكَ الْجَبَلِ أَوْدِيَةٌ وَشُعُوبٌ، وَعَقَبَاتٌ وَوُهُودٌ، وَشَوْكٌ وَعَوْسَجٌ، وَعَلِيقٌ وَشَبْرَقٌ، وَلُصُوصٌ يَقْتَطِعُونَ الطَّرِيقَ عَلَى السَّائِرِينَ. وَلَا سِيَّمَا أَهْلَ اللَّيْلِ الْمُدْلِجِينَ. فَإِذَا لَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ عُدَدُ الْإِيمَانِ، وَمَصَابِيحُ الْيَقِينِ تَتَّقِدُ بِزَيْتِ الْإِخْبَاتِ، وَإِلَّا تَعَلَّقَتْ بِهِمْ تِلْكَ الْمَوَانِعُ. وَتَشَبَّثَتْ بِهِمْ تِلْكَ الْقَوَاطِعُ وَحَالَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّيْرِ.

فَإِنَّ أَكْثَرَ السَّائِرِينَ فِيهِ رَجَعُوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ لَمَّا عَجَزُوا عَنْ قَطْعِهِ وَاقْتِحَامِ عَقَبَاتِهِ. وَالشَّيْطَانُ عَلَى قُلَّةِ ذَلِكَ الْجَبَلِ يُحَذِّرُ النَّاسَ مِنْ صُعُودِهِ وَارْتِفَاعِهِ، وَيُخَوِّفُهُمْ مِنْهُ. فَيَتَّفِقُ

---

(١) (٢/٧-٨).

مَشَقَّةُ الصُّعُودِ وَقُعُودُ ذَلِكَ الْمُخَوِّفِ عَلَى قُلَّتِهِ، وَضَعْفُ عَزِيمَةِ السَّائِرِ وَنِيَّتِهِ. فَيَتَوَلَّدُ مِنْ ذَلِكَ الِانْقِطَاعُ وَالرُّجُوعُ. وَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ.

وَكُلَّمَا رَقَى السَّائِرُ فِي ذَلِكَ الْجَبَلِ اشْتَدَّ بِهِ صِيَاحُ الْقَاطِعِ، وَتَحْذِيرُهُ وَتَخْوِيفُهُ، فَإِذَا قَطَعَهُ وَبَلَغَ قُلَّتَهُ: انْقَلَبَتْ تِلْكَ الْمَخَاوِفُ كُلُّهُنَّ أَمَانًا. وَحِينَئِذٍ يَسْهُلُ السَّيْرُ، وَتَزُولُ عَنْهُ عَوَارِضُ الطَّرِيقِ، وَمَشَقَّةُ عَقَبَاتِهَا، وَيَرَى طَرِيقًا وَاسِعًا آمِنًا. يُفْضِي بِهِ إِلَى الْمَنَازِلِ وَالْمَنَاهِلِ. وَعَلَيْهِ الْأَعْلَامُ. وَفِيهِ الْإِقَامَاتُ، قَدْ أُعِدَّتْ لِرَكْبِ الرَّحْمَنِ.

فَبَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ السَّعَادَةِ وَالْفَلَاحِ قُوَّةُ عَزِيمَةٍ، وَصَبْرُ سَاعَةٍ، وَشَجَاعَةُ نَفْسٍ، وَثَبَاتُ قَلْبٍ ، وَالْفَضْلُ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ. وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ .اهـ ، فتأمل هذا المثل تنجح ، نسأل الله الإعانة.

كثرة الذكر بالقلب واللسان

كثرة الذكر بالقلب واللسان ومن أعظمه دوام الاستغفار المصاحب للتوبة والندم قال الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [العنكبوت: ٤٥] أي : ذكر الله أكبر من أن يبقى معه فاحشة أو منكر ، على أحد التفاسير في الآية ، ولهذا قرن الصلاة بالذكر ليتبين الربط بينهما ، وفي الآية الأخرى قال الله سبحانه : ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾ [الزخرف : ٣٦] ، ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴾ [النساء: ٣٨] لأنه يحسّن لهم القبائح ولهذا قال الشاعر :

عَـن المَـرْء لا تَسْـأل وسَـلْ عـن قَرينـه فـكُلُّ قـرين بالمقـارن يَقْتَـدي

ولأن صدأ القلب والغفلة التي تسبب الانهماك في المعاصي لا يزيلها ويقشعها ويطهر القلب منها إلا كثرة الذكر والاستغفار وبالتالي تبتعد عن الشهوات المحرمة فلهذا ينبغي لمن تلطخ بالمعاصي والآثام أن يعمر أوقاته بكثرة الذكر والتوبة والاستغفار وقد ذكر الله صفة أهل الجنة فقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ

﴿يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران:١٣٥] أي: إذا صدر منهم ذنب أتبعوه مباشرة بالتوبة والاستغفار، ولم يتمادوا في المعاصي، بل يرجعون كلما تذكروا أن لهم ربًا رحيمًا يغفر الذنوب في كل وقت، ما دام العبد يستغفر ويندم على ما اقترفه.

۞ وقد ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن من فوائد الذكر العظيمة

أنه يطرد الشيطان ويقمعه ويكسره ويسبب انخناسه فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ : إذا ذكر الله هرب وانخنس وتأخر فإن ذكر الله هو مقمعته التي يقمع بها كما يقمع المفسد والشرير بالمقامع التي تردعه من سياط وحديد وعصي ونحوها فذكر الله يقمع الشيطان ويؤلمه ويؤذيه كالسياط والمقامع التي تؤذي من يضرب بها ولهذا يكون شيطان المؤمن هزيلا ضئيلا مضنى مما يعذبه ويقمعه به من ذكر الله وطاعته وفي أثر عن بعض السلف أن المؤمن ينضي شيطانه كما ينضي الرجل بعيره في السفر[١] ؛ لأنه كلما اعترضه صب عليه سياط الذكر والتوجه والاستغفار والطاعة فشيطانه معه في عذاب شديد ليس بمنزلة شيطان الفاجر الذي هو معه في راحة ودعة ولهذا يكون قويا عاتيا شديدا فمن لم يعذب شيطانه في هذه الدار بذكر الله تعالى وتوحيده واستغفاره وطاعته عذبه شيطانه في الآخرة بعذاب النار فلا بد لكل أحد أن يعذب شيطانه أو يعذبه شيطانه[٢] والشيطان منبع ومصدر لكل فاحشة ومنكر.

كثرة الدعاء والابتهال والتضرع إلى الله والاستغاثة به

ومن العواصم كثرة الدعاء والابتهال والتضرع إلى الله والاستغاثة به والانطراح بين يديه أنْ يصرف عنك الشيطان ومكائده، وأنْ يجنبك الفتن ما ظهر منها وما بطن وهل

---

(١) أورده العلامة الألباني : في "السلسلة الصحيحة" مرفوعا وحسنه برقم (٣٥٨٦)

(٢) "بدائع الفوائد"(٢/٢٥٦).

ثبت يوسف عليه السلام في محنته أمام امرأةٍ ذات منصبٍ وجمالٍ إلا بالذكر والدعاء، والابتهال :﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ﴾[يوسف:٢٣].

فهذه استعاذة منه وذكر لله تعالى على أحد التفسيرين في الآية .

وقال عليه السلام:﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [يوسف:٣٣] وهذا دعاء، قال تعالى:﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [يوسف:٣٤]، فتأمل كيف صرفه الله عن الشهوة الممنوعة بالذكر والدعاء، ولهذا قال بعض العلماء ـ إنه ينبغي للعبدِ أن يلتجِئ إلى الله عند وجود أسباب المعصيَة ويتبرّأ من حولِه وقوّته؛ لقول يوسف عليه السلام: ﴿ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [يوسف: ٣٣] أي: إن وكلتني إلى نفسي فليس لي من نفسي قدرةٌ، إلا بحولِك وقوّتك، أنت المستعان، وعليك التّكلان، فلا تكلني إلى نفسي.

۞ قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ﴿أَصْبُ إِلَيْهِنَّ ﴾ أي : إن لم تلطف بي في اجتناب المعصية وقعت فيها ﴿ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ أي : ممن يرتكب الإثم ويستحق الذم ، أو ممن يعمل عمل الجهال ؛ ودل هذا على أن أحدا لا يمتنع عن معصية الله إلا بعون الله وتوفيقه.اهـ

وأحسن ما يستعاذ به في هذا المقام الدعاء المأثور الوارد في حديث شكل بن حميد رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ، عَلِّمْنِي دُعَاءً، قَالَ: « **قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي، وَمِنْ شَرِّ بَصَرِي، وَمِنْ شَرِّ لِسَانِي، وَمِنْ شَرِّ قَلْبِي، وَمِنْ شَرِّ مَنِيِّي** »" . رواه أبو داود والترمذي والنسائي[1]وأنعم به من دعاء والله أعلم.

---

(١) والحديث صحيح صححه العلامة الألباني رحمه الله في "صحيح الأدب المفرد" رقم (٦٦٣)والعلامة الوادعي رحمه الله في "الصحيح المسند" رقم(٤٧٦) .

كثرة تلاوة القران وتدبر آياته

ومن العواصم من فتنة الشهوات كثرة تلاوة القران وتدبر آياته فإنه علاج وأي علاج وشفاء وأي شفاء ولهذا قال الله تعالى : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء: ٨٢] .

۞ قال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : فإنه-القران- مشتمل على العلم اليقيني، الذي تزول به كل شبهة وجهالة، والوعظ والتذكير، الذي يزول به كل شهوة تخالف أمر الله، وهذا مما لا يكاد يخفى على أحد. اهـ كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

۞ وقال تلميذه ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الآية : وهذه الآية عامة، شفاء، ورحمة، يشمل شفاء القلوب من أمراض الشبهات، وأمراض الشهوات، وشفاء الأجسام من الأمراض المستصعبات . انتهى.(١)

۞ وقال : فكتابُ الله كلُّه مملوءٌ بالعِلْمِ والبيانِ الذي يزولُ به داءُ الشُّبهاتِ، ومملوءٌ بالتَّرغيبِ والتَّرهيبِ الذي يَزولُ به داءُ الشَّهواتِ، ولكنَّنا في غَفْلةٍ عن هذا الكتاب العزيز؛ الذي كلُّه خيرٌ .(٢)

صحبة الصالحين وأهل الفضل والاستقامة.

ومن العواصم صحبة الصالحين وأهل الفضل والاستقامة وترك صحبة الأشرار فصحبة أهل الخير من أعظم الأسباب التي تعين وتساعد على الاستقامة وترك الشهوات المحرمة لأنه كما قال الرسول الله ﷺ : «**الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ**

---

(١) "فتاوى نور على الدرب" (شريط ٢٥٧، وجه: أ) .

(٢) "الشرح الممتع" (٤/٢٣).

يُخَالِلُ» [١] فإن كان صاحب عفة ونزاهة حمله على ذلك ، وإن كان صاحب معاصي وفسوق حمله على ذلك وهنا ضابط مفيد جدا فيما يتعلق بمن يصاحب العبد ومن يجانب، وهذا الضابط هو الوارد في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الترمذي وغيره أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَقَفَ عَلَى نَاسٍ جُلُوسٍ، فَقَالَ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِكُمْ مِنْ شَرِّكُمْ؟**» قَالَ: فَسَكَتُوا، فَقَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَقَالَ رَجُلٌ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنَا بِخَيْرِنَا مِنْ شَرِّنَا، قَالَ: «**خَيْرُكُمْ مَنْ يُرْجَى خَيْرُهُ وَيُؤْمَنُ شَرُّهُ، وَشَرُّكُمْ مَنْ لَا يُرْجَى خَيْرُهُ وَلَا يُؤْمَنُ شَرُّهُ**»[٢] فمن لا يرجى خيره ولا يؤمن شره فالبعد عنه غنيمة والعكس بالعكس وقديمًا قيل : قلْ لي من تصاحب أقول لك من أنت . ولذا : قال : النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **" مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ، كَحَامِلِ المِسْكِ وَنَافِخِ الكِيرِ، فَحَامِلُ المِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً "**[٣]

حضور مجالس أهل العلم والصبر على ذلك

ومن العواصم حضور مجالس أهل العلم والصبر على ذلك لِأَنَّ حُضُورَ مَجَالِسِ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ بِعِلْمِهِمْ يُحْيِي الله بها الْقُلُوبَ الْمَيِّتَةَ كَمَا يُحْيِي الْمَطَرُ الْوَابِلُ النَّبَاتَ لأن مجالسهم تتراوح ما بين الترغيب في خير أو التحذير من شر ورب كلمة كانت سببا دافعا لترك معصية أو تحمل على التحميس لفعل طاعة أضف إلى ما فيها من حياة القلوب ونماء الإيمان وزكاة النفس وسبيل السعادة في الدنيا والآخرة ونزول السكينة والتلهي بها عن

---

(١) أخرجه أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه وحسنه الألباني رحمه الله في "السلسلة الصحيحة" (٢ / ٦٣٣) ، وحسنه شيخنا مقبل رحمه الله في "الصحيح المسند" (١٢٧٢) .

(٢) صححه العلامة الألباني رحمه الله في "صحيح الترمذي" رقم(٢٢٦٣) ، وحسنه شيخنا مقبل رحمه الله في "الصحيح المسند" (١٤٢٣).

(٣) رواه البخاري ومسلم عن أبي موسى رضي الله عنه .

المعصية وانشراح الصدر وتكفير السيئات وغيرها من الفوائد .

❁ قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ [١] : **فَطلب الْعلم من افضل الْحَسَنَات والحسنات يذْهبن السَّيِّئَات فجدير ان يكون طلب الْعلم ابْتِغَاء وَجه الله يكفر ماضي من السَّيِّئَات فقد دلّت النُّصُوص ان اتِّبَاع السَّيئَة الْحَسَنَة تمحوها فَكيف بِمَا هُوَ من افضل الْحَسَنَات واجل الطَّاعَات فالعمدة على ذَلِك لا على حَدِيث ابي دَاوُد وَالله اعْلَم وَقد روى عَن عمر بن الْخطاب رضى الله عَنهُ ان الرجل ليخرج من منزله وَعَلِيهِ من الذُّنُوب مثل جبال تهَامَة فَإِذا سمع الْعلم خَافَ وَرجع وَتَابَ فَانْصَرف الى منزله وَلَيْسَ عَلَيْهِ ذَنْب فلاتفارقوا مجَالِس الْعلمَاء.**

❁ ويقول سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ولكن لو أن إنسانًا رأى، أو داعية من الدعاة رأى أن يدعوه إلى حضور مجالس العلماء لعله ينشرح صدره ، أو يدعوه إلى بر الوالدين ، وصلة الأرحام ، فلا بأس عليه [٢]، والله أعلم.

الحذر من عاقبة إيذاء المسلمين والمسلمات في أعراضهم

ومما يعصمك الحذر من عاقبة إيذاء المسلمين والمسلمات في أعراضهم وليعلم أن الحفاظ على أعراض المسلمين أمر واجب، وأذيتهم وانتهاك أعراضهم قد نهى عنه الله تعالى في كتابه، ونهى عنه رسول الله ﷺ في سنته، فقد قال تعالى: ﴿ **وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا** ﴾ [الأحزاب:٥٨].

وثبت في "صحيح مسلم"[٣] عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : «**كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ** » .

---

(١) "مفتاح دار السعادة"(١/٧٧) .

(٢) مقابلة علمية مع فضيلته في يوم الجمعة الموافق ٢٩ / ٤ / ١٤١٤هـ مسجلة في شريط .

(٣) برقم (٢٥٦٤) .

فاتق الله أيها المسلم، لا تكن سببًا في هتك أعراض المسلمات العفيفات الشريفات، فإن حماية أعراض المسلمين، والمحافظة على سمعتهم، وصيانة كرامتهم، مطلب من مطالب الإسلام، وغاية من غاياته، ولهذا فالشرع يسد الباب أمام الذين يلتمسون العيب والنقيصة للمسلمين فيمنعهم من أن يجرحوا مشاعرهم، ويلغوا في أعراضهم، ويحظر أشد الحظر إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا، ويحرم القذف تحريمًا قاطعاً، ويجعله كبيرة من كبائر الذنوب، ويوجب على القاذف ثمانين جلدة، ويمنع شهادته، ويحكم عليه بالفسق واللعن واستحقاق العذاب الأليم في الدنيا والآخرة، ما لم يأت بما لا يتطرق إليه الشك من إقرار، أو ظهور حمل، ممن لم يكن لها زوج، أو شهادة أربعة شهود على حالة قلما تتحقق.

وهذا يؤكد أن الله تبارك وتعالى حرم أعراض المسلمين وأموالهم، فأي اعتداء على عرض المسلم، سواء كان غيبة أو أذية أخرى، أو أي تعد، فإنه يعد حراما ومعصية، ففي الصحيحين[1] وغيرهما أن رسول الله ﷺ قال: «**فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ، بَيْنَكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا،...**" إلى آخر الحديث.

الحياء من الناس والخوف من الفضيحة في الدنيا والآخرة بهَتْكِ الستر

ومن العواصم الحياء من الناس والخوف من الفضيحة في الدنيا والآخرة بِهَتْكِ الستر وكشف العار.

❁ قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : كما في "صيد الخاطر"[2] : نظرت في الأدلة على الحق -

---

(١) البخاري(١٠٥) ومسلم (١٦٧٩) .

(٢) (ص١٠٨-١٠٩) .

سبحانه وتعالى - فوجدتها أكثر من الرمل، ورأيت من أعجبها: أن الإنسان قد يخفي ما لا يرضاه الله - عز وجل - فيظهره الله - سبحانه - عليه ولو بعد حين، وينطق الألسنة به، وإن لم يشاهده الناس وربما أوقع صاحبَه في آفة يفضحه بها بين الخلق؛ فيكون جوابًا لكل ما أخفى من الذنوب، وذلك؛ ليعلم الناس أن هنالك من يجازي على الزلل، ولا ينفع مِنْ قَدَره وقدرته حجاب ولا استتار، ولا يضاع لديه عمل وكذلك يخفي الإنسان الطاعة، فتظهر عليه، ويتحدث الناس بها، وبأكثر منها، حتى إنهم لا يعرفون له ذنباً، ولا يذكرونه إلا بالمحاسن؛ لِيُعْلَمَ أن هنالك ربًّا لا يُضيع عَمَلَ عامل وإن قلوب الناس لَتَعْرِفُ حال الشخص، وتحبه، أو تأباه، وتذمه، أو تمدحه وفْقَ ما يتحقق بينه وبين الله - تعالى - فإنه يكفيه كلَّ همٍّ، ويدفع عنه كل شر وما أصلح عبد ما بينه وبين الخلق دون أن ينظر إلى الحق إلا انعكس مقصوده، وعاد حامده ذامًّا . اهـ

❁ وقال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ : وفي الجملة فتقوى الله في السرِّ هو علامةُ كمالِ الإيمانِ ، وله تأثيرٌ عظيم في إلقاء الله لصاحبه الثناءَ في قلوب المؤمنين .

وفي الحديث: « ما أَسَرَّ عبدٌ سَريرةً إلا ألبسه الله رِدَاءها علانيةً إنْ خيرًا فخيرٌ ، وإنْ شرًا فشرٌّ »[1] رُوي هذا مرفوعًا ، ورُوي عن ابن مسعودٍ من قوله .

❁ وقال أبو الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ : لِيَتَّقِ أحدُكم أنْ تلعنه قلوبُ المؤمنين وهو لا يشعر ، يخلو بمعاصي الله ، فيلقي الله له البغضَ في قلوب المؤمنين.[2]

❁ قال سليمانُ التيميُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : إنَّ الرجل لَيُصيب الذنبَ في السرِّ فيصبح وعليه

---

(١) أخرجه : الطبراني في "الكبير"(١٧٠٢/٢) ، وفي "الأوسط" ، له (٧٩٠٦) عن جندب ابن سفيان ، به ، وهو حديث ضعيف جدًا لا يصح .

(٢) أخرجه : أبو نعيم في "الحلية"(٢١٥/١) .

مذلتُه .[١]

❁ وقال غيره : إنَّ العبد ليذنب الذنب فيما بينه وبينَ الله ، ثم يجيءُ إلى إخوانه، فيرون أَثَرَ ذلك عليه ، وهذا مِن أعظم الأدلة على وجودِ الإله الحقِّ المجازي بذرَّات الأعمال في الدنيا قبل الآخرة، ولا يضيع عندَه عملُ عاملٍ ، ولا ينفع من قدرته حجاب ولا استتار، فالسعيدُ مَنْ أصلح ما بينَه وبينَ الله فإنَّه من أصلح ما بينه وبينَ الله أصلح الله ما بينه وبين الخلق، ومن التمس محامدَ الناسِ بسخط الله، عاد حامده من النَّاس له ذامًا . اهـ ولا تغتر بستر الله عليك وتأخير العقوبة[لأن الله تعالى أجرى العادة أنه لا يفضح أحدا من أول مرة][٢].

وأما يوم القيامة فهو اليوم الذي يظهر فيه المستور، ويحصل فيه ما في الصدور، وتكشف الحقائق، ويتميز الصادق من الكاذب. وتظهر الحسرات والويلات وتشهد الجوارح يوم نقف بين يدي الملك العظيم الذي لا تخفى عليه خافية : ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨] ، ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ [الطارق: ٩، ١٠] فاللَّهُمَّ استر عوراتنا وآمن روعاتنا وتوفنا مسلمين.

الحذر من شماتة الأعداء

ومن العواصم العظيمة الحذر من شماتة الأعداء الشَّمَاتَةُ :التي هي فرح، العدو ببلية تنزل بعدوه فالمعاصي تورث شماتة الأعداء تفرح عدوك وتسر حاسدك وتريح مبغضك فلا يرحمونك حينئذ وقد أمر النبي ﷺ بالاستعاذة من ذلك ففِي "الصَّحِيحَيْنِ"[٣] ، وَغَيْرِهِمَا

---

(١) أخرجه : أبو نعيم في "الحلية" (٣١/٣) .

(٢) "تدريب الراوي" (٢٣١/١) .

(٣) البخاري (٦٦١٦) ومسلم (٢٧٠٧) .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « **تَعَوَّذُوا بِاَللَّهِ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ ، وَدَرْكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ الْقَضَاءِ وَشَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ** » وَقَدْ حَكَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ : ﴿ فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٥٠] وقد قيل أشد البلاء شماتة الأعداء .

❁ وقال عبد الله بن عتبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ : كل المصائب قد تمر على الفتى فتهون غير شماتة الأعداء فاللَّهُمَّ إنا نعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء وبالله التوفيق .

الفزع إلى الصلاة والانكباب عليها

عند خوفك من الوقوع في شهوة محرمة

ومن العواصم الفزع إلى الصلاة والانكباب عليها عند خوفك من الوقوع في شهوة محرمة لأن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وعون في المهمات قال الله تعالى : ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾ [البقرة: ٤٥] فبقدر إضاعة الصلاة يكون الابتلاء بالشهوات كما قال تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ [مريم:٥٩] وبقدر الاهتمام والعناية بها وإقامتها على وجهها يكون البعد عن الشهوات كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ [العنكبوت: ٤٥] ولا شك أن كلام الله حق لا شك فيه ويقين لا يتخلف وذلك أذا أقيمت الصلاة على الوجه الحقيقي وعلى الكيفية المطلوبة.

❁ قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : وَالصَّلَاةُ مَجْلَبَةٌ لِلرِّزْقِ، حَافِظَةٌ لِلصِّحَّةِ، دَافِعَةٌ لِلْأَذَى، مَطْرَدَةٌ لِلْأَدْوَاءِ، مُقَوِّيَةٌ لِلْقَلْبِ، مُبَيِّضَةٌ لِلْوَجْهِ، مُفْرِحَةٌ لِلنَّفْسِ، مُذْهِبَةٌ لِلْكَسَلِ، مُنَشِّطَةٌ لِلْجَوَارِحِ، مُمِدَّةٌ لِلْقُوَى، شَارِحَةٌ لِلصَّدْرِ، مُغَذِّيَةٌ لِلرُّوحِ، مُنَوِّرَةٌ لِلْقَلْبِ، حَافِظَةٌ لِلنِّعْمَةِ، دَافِعَةٌ لِلنِّقْمَةِ، جَالِبَةٌ لِلْبَرَكَةِ، مُبْعِدَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ مُقَرِّبَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ.

وَبِالْجُمْلَةِ: فَلَهَا تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي حِفْظِ صِحَّةِ الْبَدَنِ وَالْقَلْبِ، وَقُوَاهُمَا، وَدَفْعِ الْمَوَادِّ الرَّدِيئَةِ عَنْهُمَا، وَمَا ابْتُلِيَ رَجُلَانِ بِعَاهَةٍ أَوْ دَاءٍ أَوْ مِحْنَةٍ أَوْ بَلِيَّةٍ إِلَّا كَانَ حَظُّ الْمُصَلِّي مِنْهُمَا أَقَلَّ، وَعَاقِبَتُهُ أَسْلَمَ.

وَلِلصَّلَاةِ تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي دَفْعِ شُرُورِ الدُّنْيَا، وَلَا سِيَّمَا إِذَا أُعْطِيَتْ حَقَّهَا مِنَ التَّكْمِيلِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، فَمَا اسْتُدْفِعَتْ شُرُورُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَلَا اسْتُجْلِبَتْ

مَصَالِحُهُمَا بِمِثْلِ الصَّلَاةِ، وَسِرُّ ذَلِكَ أَنَّ الصَّلَاةَ صِلَةٌ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَعَلَى قَدْرِ صِلَةِ الْعَبْدِ بِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ تُفْتَحُ عَلَيْهِ مِنَ الْخَيْرَاتِ أَبْوَابُهَا، وَتُقْطَعُ عَنْهُ مِنَ الشُّرُورِ أَسْبَابُهَا، وَتُفِيضُ عَلَيْهِ مَوَادُّ التَّوْفِيقِ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالْعَافِيَةُ وَالصِّحَّةُ، وَالْغَنِيمَةُ وَالْغِنَى، وَالرَّاحَةُ وَالنَّعِيمُ، وَالْأَفْرَاحُ وَالْمَسَرَّاتُ، كُلُّهَا مُحْضَرَةٌ لَدَيْهِ، وَمُسَارِعَةٌ إِلَيْهِ.)اهـ كلامه.[1]

❁ وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ : في "طريق الهجرتين"[2] : وأخبر-أي النبي ﷺ - أن قرة العين التي يطمئن القلب بالوصول إليها ومحض لذته وفرحه وسروره وبهجته إنما هو في الصلاة التي هي صلة بالله وحضور بين يديه ومناجاة له واقتراب منه، فكيف لا تكون قرة العين، وكيف تقر عين المحب بسواها. فإذا حصل للنفس هذا الحظ الجليل فأي فقر يخشى معه، وأي غنى فاتها حتى تلتفت إليه؟ ولا يحصل لها هذا حتى ينقلب طبعها ويصير مجانسا لطبيعة القلب، فتصير بذلك مطمئنة بعد أن كانت لوامة، وإنما تصير مطمئنة بعد تبادل صفاتها وانقلاب طبعها، لاستغناء القلب بما وصل إليه من نور الحق جل جلاله، فجرى أثر ذلك النور في سمعه وبصره وشعره وبشره وعظمه ولحمه ودمه وسائر مفاصله، وأحاط بجهاته من فوقه وتحته ويمينه ويساره وخلفه وأمامه، وصارت ذاته نورا وصار عمله نورا، وقوله نورا، ومدخله نورا ومخرجه نورا وكان في مبعثه ممن انبهر له نوره

---

(١) "زاد المعاد" (٣٠٤/٤) .

(٢) (ص٧١) .

فقطع به الجسر.

وإذا وصلت النفس إلى هذه الحال استغنت بها عن التطاول إلى الشهوات التي توجب اقتحام الحدود المسخوطة، والتقاعد عن الأمور المطلوبة المرغوبة، فإن فقرها إلى الشهوات هو الموجب لها التقاعد عن المرغوب المطلوب، وأيضا فتقاعدها عن المطلوب بينهما موجب لفقرها إلى الشهوات، فكل منهما موجب للآخر، وترك الأوامر أقوى لها من افتقارها إلى الشهوات، فإنه بحسب قيام العبد بالأمر تدفع عنه جيوش الشهوة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج: ٣٨] وفي القراءة الأخرى (يدفَعُ)، فكمال الدفع والمدافعة بحسب قوة الإيمان وضعفه)اهـ كلامه

❁ وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ : وهو يبين السبيل إلى التخلص من المعاصي المستحكمة في النفوس قال :(وأحسن شيء هو محاولة إحضار القلب في الصلاة، هذا هو المهم، يعني: إذا قدرت أن تحضر قلبك في الصلاة كلما صليت فاعلم أن هذا فتح باب خير، لأن الله قال في القرآن الكريم: ﴿**وَأَقِمِ الصَّلَاةَ**﴾ [العنكبوت:٤٥] يعني: افعلها مستقيمة :﴿تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥] فإذا أقمت الصلاة تمامًا فأبشر بالخير، وقال تعالى: ﴿**وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ**﴾ [البقرة:٤٥] ليس على ملمات الدنيا فقط بل على كل شيء. فأوصي هذا الأخ الذي يتعاظم الذنوب في نفسه وربما ييأس من رحمة الله عز جل، أوصيه بأن يبعد هذا الوهم من نفسه، وأن يحاول بقدر ما يستطيع إقامة الصلاة على الوجه المطلوب، فإن هذا هو الدواء، وهذا هو المفتاح، ونسأل الله لنا ولكم السلامة). اهـ كلامه[1]

---

(١) من "لقاءات الباب المفتوح".

ترك سماع الغناء لأنه بريد الزنا

ومما يعصمك من الشهوات ترك سماع الغناء لأنه بريد الزنا ورقية الشيطان ومهيج الشهوات .

❁ قَالَ يَزِيدُ بْنُ الْوَلِيدِ النَّاقِص: " يَا بَنِي أُمَيَّةَ، إِيَّاكُمْ وَالْغِنَاءَ، فَإِنَّهُ يُنْقِصُ الْحَيَاءَ، وَيَزِيدُ فِي الشَّهْوَةَ، وَيَهْدِمُ الْمُرُوءَةَ، وَإِنَّهُ لَيَنُوبُ عَنِ الْخَمْرِ، وَيَفْعَلُ مَا يَفْعَلُ السُّكْرُ، فَإِنْ كُنْتُمْ لَا بُدَّ فَاعِلِينَ، فَجَنِّبُوهُ النِّسَاءَ إِنَّ الْغِنَاءَ دَاعِيَةُ الزِّنَى.(١)

❁ وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : كما في الفتاوى (١٥/ ٣١٣): ...وَمِنْ أَقْوَى مَا يُهَيِّجُ الْفَاحِشَةَ إنْشَادُ أَشْعَارِ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مِنْ الْعِشْقِ، وَمَحَبَّةِ الْفَوَاحِشِ وَمُقَدِّمَاتِهَا بِالْأَصْوَاتِ الْمُطْرِبَةِ؛ فَإِنَّ الْمُغَنِّيَ إذَا غَنَّى بِذَلِكَ حَرَّكَ الْقُلُوبَ الْمَرِيضَةَ إلَى مَحَبَّةِ الْفَوَاحِشِ، فَعِنْدَهَا يَهِيجُ مَرَضُهُ، وَيَقْوَى بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ الْقَلْبُ فِي عَافِيَةٍ مِنْ ذَلِكَ، جَعَلَ فِيهِ مَرَضًا، كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: الْغِنَاءُ رُقْيَةُ الزِّنَا.اهـ

❁ وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ومن الأمر المعلوم عند القوم أن المرأة إذا استصعبت على الرجل اجتهد أن يُسمعها صوت الغناء، فحينئذٍ تعطي الليان ؛ وهذا لأن المرأة سريعة الانفعال للأصوات جدًا فإذا كان الصوت بالغناء صار انفعالها من وجهين: من جهة الصوت، ومن جهة معناه؛ ولهذا قال النبي ﷺ : لأنجشة حاديه: «**وَيْحَكَ يَا أَنْجَشَةُ رُوَيْدَكَ بِالقَوَارِيرِ**» (٢) يعني النساء أما إذا اجتمع إلى هذه الرقية الدّف والشبابة والرقص بالتخنث والتكسر، فلو حبلت المرأة من صوت لحبلت من هذا الغناء. فلعمر الله كم من حرة صارت بالغناء من البغايا، وكم من حرّ أصبح به عبدًا للصبيان أو الصبايا، وكم من غيور تبدّل به اسمًا قبيحًا بين البرايا، وكم من معافى تعرّض له فأمسى

---

(١) انظر: "ذم الهوى"، لابن الجوزي، (١١٦).

(٢) أخرجه البخاري (٦١٦١)ومسلم (٢٣٢٣) .

وقد حلّت به أنواع البلايا . اهـ[١]

❁ وقال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ : في كتاب "نزهة الأسماع في مسألة السماع"[٢]: والغناءُ المشتملُ على وصفِ ما جُبلتِ النفوسُ على حبِّه، والشَّغفِ به - من الصُّوَر الجميلةِ - يُثيرُ ما كمنَ في النفوسِ من تلك المحبّةِ ويُشوِّقُ إليها، ويُحرِّكُ الطبعَ ويزعجُه، ويخرجُه عن الاعتدالِ ويؤُزُّه إلى المعاصِي أزًّا ولهذا قِيل: إنه رقيةُ الزنا وقد افتُتن بسماع الغناء، خلقٌ كثيرٌ فأخرَّجَهُم استماعُه إلى العشقِ، وفُتنوا في دينهِم، فلو لم يرِد نصٌّ صريح في تحريمِ الغناءِ بالشعرِ الذي تُوصفُ فيه الصُّورُ الجميلة لكانَ محرَّمًا بالقياسِ على النظرِ إلى الصُّورِ الجميلةِ التي يحرمُ النظرُ إليها بالشهوةِ، بالكتابِ والسنةِ وإجماع من يُعتدُّ به من علماءِ الأمةِ.

فإنَّ الفتنةَ كَما تحصُلُ بالنظرِ والمشاهدةِ، فكذلك تحصُلُ بسماع الأوصافِ.واجتلائِها من الشعرِ الموزونِ المحرك للشهواتِ .اهـ

❁ وَقَالَ الْإِمَامُ أَبُو الْعَبَّاسِ الْقُرْطُبِيُّ :أَمَّا الْمَزَامِيرُ وَالْأَوْتَارُ وَالْكُوبَةُ(الطبل) فَلَا يُخْتَلَفُ فِي تَحْرِيمِ اسْتِمَاعِهَا وَلَمْ أَسْمَعْ عَنْ أَحَدٍ مِمَّنْ يُعْتَبَرُ قَوْلُهُ مِنْ السَّلَفِ وَأَئِمَّةِ الْخَلَفِ مَنْ يُبِيحُ ذَلِكَ، وَكَيْفَ لَا يَحْرُمُ وَهُوَ شِعَارُ أَهْلِ الْخُمُورِ وَالْفُسُوقِ وَمُهَيِّجُ الشَّهَوَاتِ وَالْفَسَادِ وَالْمُجُونِ؟ وَمَا كَانَ كَذَلِكَ لَمْ يَشُكَّ فِي تَحْرِيمِهِ وَلَا تَفْسِيقَ فَاعِلِهِ وَتَأْثِيمَهُ . اهـ[٣]

❁ وقال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : فَإِنَّ الْغِنَاءَ كَمَا قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ هُوَ رُقْيَةُ الزِّنَا، وَقَدْ شَاهَدَ النَّاسُ أَنَّهُ مَا عَانَاهُ صَبِيٌّ إِلَّا وَفَسَدَ، وَلَا امْرَأَةٌ إِلَّا وَبَغَتْ، وَلَا شَابٌّ

---

(١) "إغاثة اللهفان" (ص٢٤٧) .

(٢) (٤٦٠) .

(٣) انتهى نقلا عن "الزواجر عن اقتراف الكبائر" (٣٣٧/٢).

إِلَّا وَإِلَّا، **وَلَا شَيْخٌ إِلَّا** وَإِلَّا، وَالْعِيَانُ مِنْ ذَلِكَ يُغْنِي عَنِ الْبُرْهَانِ . اهـ كلامه[١]

❁ وقال : وأما تسميته-أي الغناء- رقية الزنا فهو اسم موافق لمسماه ولفظ مطابق لمعناه فليس في رقى الزنا أنجع منه وهذه التسمية معروفة عن الفضيل بن عياض.

وقال : فاعلم أن للغناء خواص لها تأثير في صبغ القلب بالنفاق ونباته فيه كنبات الزرع بالماء.

فمن خواصه : أنه يلهي القلب ويصده عن فهم القرآن وتدبره والعمل بما فيه فإن القرآن والغناء لا يجتمعان في القلب أبدا لما بينهما من التضاد فإن القرآن ينهى عن اتباع الهوى ويأمر بالعفة ومجانبة شهوات النفوس وأسباب الغي وينهى عن اتباع خطوات الشيطان والغناء يأمر بضد ذلك كله ويحسنه ويهيج النفوس إلى شهوات الغي فيثير كامنها ويزعج قاطنها ويحركها إلى كل قبيح ويسوقها إلى وصل كل مليحة ومليح فهو والخمر رضيعا لبان وفي تهييجهما على القبائح فرسا رهان فإنه صنو الخمر ورضيعه ونائبه وحليفه وخدينه وصديقه عقد الشيطان بينهما عقد الإخاء الذي لا يفسخ وأحكم بينهما شريعة الوفاء التي لا تنسخ وهو جاسوس القلب وسارق المروءة وسوس العقل يتغلغل في مكامن القلوب ويطلع على سرائر الأفئدة ويدب إلى محل التخيل فيثير ما فيه من الهوى والشهوة والسخافة والرقاعة والرعونة والحماقة فبينا ترى الرجل وعليه سمة الوقار وبهاء العقل وبهجة الإيمان ووقار الإسلام وحلاوة القرآن فإذا استمع الغناء ومال إليه نقص عقله وقل حياؤه وذهبت مروءته وفارقه بهاؤه وتخلى عنه وقاره وفرح به شيطانه وشكا إلى الله تعالى إيمانه وثقل عليه قرآنه وقال : يارب لا تجمع بيني وبين قرآن عدوك في صدر واحد فاستحسن ما كان قبل السماع يستقبحه وأبدى من سره ما كان يكتمه وانتقل من الوقار والسكينة إلى كثرة الكلام والكذب . اهـ كلامه.

---

(١) "مدارج السالكين" (٤٧٣/١).

تذكر ما أعد الله لأهل العفاف من نعيم في الجنة وما أعد لأهل الفجور من عذاب في النار

ومما يعينك على ترك الشهوات ويعصمك منها تذكر ما أعد الله لأهل العفاف من نعيم في الجنة وما أعد لأهل الفجور من عذاب في النار والجنة هي بلاد الأفراح، وسلوة الأحزان، ومحط رحال المؤمنين والنفس مفطورة على عدم التضحية والعمل وترك المحرم إلا بمقابل يهوّن عليها الصعاب ، ويذلل لها ما في الطريق من عقبات ومشاق ، ولا ريب أن الاحتساب ينسي الأتعاب فالذي يعلم الأجر تهون عليه مشقة العمل ، وهو يسير ويعلم بأنه إذا لم يترك المحرم فربما تفوته بسببها جنة عرضها السموات والأرض .

فالموفق هو الذي يقارن بين ذلك النعيم وبين الشهوة والمتعة التي هي سريعة الانقضاء.

❁ قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ : إذا خِفْتَ أنْ تميلَ إلى الشَّهواتِ في الدُّنيا التي فيها المُتْعَةُ؛ فتذكَّرْ مُتْعَةَ الآخرة. ولهذا كان نبيُّنَا ﷺ إذا رأى ما يعجِبُه مِن الدُّنيا قال: «لبيَّكَ إنَّ العَيْشَ عَيْشُ الآخِرةِ» [(١)] فيقول: «لبيَّكَ» يعني: إجابةً لك، مِن أجلِ أنْ يكبَحَ جِمَاحَ النَّفْسِ؛ حتى لا تغترَّ بما شاهدت مِن مُتَعِ الدُّنيا، فَيُقبل على الله، ثم يوطِّن النَّفسَ ويقول: «إن العَيْشَ عَيْشُ الآخرة» لا عيشُ الدُّنيا. وصَدَقَ رَسُولُ الله ﷺ والله؛ إنَّ العيشَ عيشُ الآخِرةِ، فإنه عيشٌ دائمٌ ونعيمٌ لا تنغيصَ فيه، بخِلافِ عيشِ الدُّنيا فإنه ناقصٌ منغَّصٌ زائِلٌ .. [(٢)]

أيها المسلم إن تذكر ما أعد الله للمتقين الذين يتجنبون أسباب غضبه ويجاهدون أنفسهم في كبتها ورد شهواتها لهو من أعظم ما يعين على البعد عن الشهوة الممنوعة وقد

---

(١) أخرجه الشافعي في "المسند ترتيب المسند" (١ / ٣٠٤ ـ ٣٠٥) من حديث مجاهد مرسلًا قال الحافظ: هذا مرسل.

(٢) "الشرح الممتع" (٤/١١) .

ورد من الأجر العظيم لمن ترك المعصية خوفا من الله في أدلة كثيرة معروفة .

۞ قال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "تفسيره"[١]:فالعاقل الحازم الموفق، يعرض على نفسه هذه الحالة، ويقول لنفسه: قدري أنك قد مت، ولا بد أن تموتي، فأي: الحالتين تختارين؟ الاغترار بزخرف هذه الدار، والتمتع بها كتمتع الأنعام السارحة، أم العمل، لدار أكلها دائم وظلها، وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين؟ فبهذا يعرف توفيق العبد من خذلانه، وربحه من خسرانه. اهـ كلامه .

وهكذا تذكر ما أعد الله تعالى لعصاته في دار العذاب، يكون ذلك مزجرة لمن تذكر، ومنهاة لمن تبصر، نسأل الله أن يرزقنا اليقظة وأن يجنبنا الغفلة.

تذكر الموت ومرارته وانقطاع الأعمال

ومن العواصم تذكر الموت ومرارته وانقطاع الأعمال لأن تذكر الموت يحمي المسلم من التردي ،ويوقفه عند حدود الله فلا يتعداها لأنه إذا علم أن الموت أدنى من شراك نعله ، وأن ساعته قد تكون بعد لحظات ، فكيف تسول له نفسه أن يزل، أو يتمادى في الانحراف ،وأمامه القبر وظلمته ووحشته وضيقه ، وأهوال الموت وسكراته ، وأنه سيوضع في تلك الحفرة وفي ذلك اللحد الضيق وحيدًا فريدًا فإن هذا مما يوقظ النفس من نومها ، وينبهها من غفلتها ، فتعود إلى ربها وترق .

۞ قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : وفصل الخطاب في هذا أنه ينبغي أن يقاوم المرض بضده :فمن كان قلبه قاسيًا شديد القسوة، وليس عنده من المراقبة ما يكفه عن الخطأ، قوم ذلك بذكر الموت، ومحاضرة المحتضرين .[٢]

---

(١) [ص ٤٧٩] .

(٢) "صيد الخاطر" (ص١٥٩) .

ولأجل هذا كان النبي صلى ﷺ يوصي أصحابه بذكر الموت فيقول:
ﷺ «**أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ**» (١).

❁ قَالَ رَبِيعُ بْنُ أَبِي رَاشِدٍ: حَالَ ذِكْرُ الْمَوْتِ بَيْنِي وَبَيْنَ كَثِيرٍ مِمَّا أُرِيدُ مِنَ التِّجَارَةِ، وَلَوْ فَارَقَ ذِكْرُ الْمَوْتِ قَلْبِي سَاعَةً، لَخَشِيتُ أَنْ يَفْسَدَ عَلَيَّ قَلْبِي، وَلَوْلا أَنْ أُخَالِفَ مَنْ كَانَ قَبْلِي، لَكَانَتِ الْجَبَّانَةُ مَسْكَنِي حَتَّى أَمُوتَ (٢). فالحذر الحذر من الاغترار بالدنيا والانغماس في شهواتها، فإن متاع الدنيا قليل وتأمل أين القرون السالفة وأين الأمم الغابرة وأين الآباء والأجداد ولقد أحسن من قال(٣)

كُتِبَ الموتُ على الخلقِ فكمْ ... فلَّ مِنْ جَمْعٍ وأفنى مَنْ دُوَلْ
أينَ نمرودُ وكنعانُ ومَنْ ... ملكَ الأمرَ وولّى وعزَلْ
أينَ عادٌ أينَ فرعونُ ومَنْ ... رفعَ الأهرامَ مَنْ يسمعْ يخلْ
أينَ مَنْ سادوا وشادوا وبنوا ... هلكَ الكلُّ ولمْ تغنِ القلَلْ
أينَ أربابُ الحجا أهلُ النّهى ... أينَ أهلُ العلمِ والقومُ الأُوَلْ
سيعيد الله كلا منهم ... وسيجزي فاعلًا ما قد فعل

التحلي بمكارم الأخلاق

ومن العواصم التحلي بمكارم الأخلاق من كرم الطبع وشرف النفس وعلو الهمة وعفة الإزار وحفظ العهد والأمانة وكلها تأبى على المرء أن يكون متبعا للشهوات فلا بد

---

(١) أخرجه النسائي (٢٥٨/١) والترمذي (٥٠/٢) وابن ماجه (٤٢٥٨/٢) وابن حبان (٢٥٥٩ ـ ٢٥٦٢) والحاكم (٣٢١/٤) وصححه العلامة الألباني رحمه الله في "الإرواء" (٦٨٢).

(٢) رواه أبو نعيم في "الحلية" (٧٧/٥).

(٣) الأبيات لابن الوردي رحمه الله في لا ميته المشهورة.

من توطين النفس على معاملة الناس بمحاسن الأخلاق، وجميل الخِلال، والتخلي عن مساوئها وهذا من مسلَّمات الدين، ولأجله بُعث سيد المرسلين ﷺ ؛ إذ يقول: « **إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ** ».(١)

وقال ﷺ : «**إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا**» (٢)، وفي الحديث الآخر الصحيح أن النبي ﷺ قال : «**مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ**».(٣)

وقال ﷺ : « **أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الجَنَّةَ، فَقَالَ: تَقْوَى اللهِ وَحُسْنُ الخُلُقِ، وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ، فَقَالَ: الفَمُ وَالفَرْجُ** ».(٤)

ويقول أيضا (٥)«**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأُمُورِ وَأَشْرَافَهَا، وَيَكْرَهُ سَفَاسِفَهَا**»(٦). والآيات والأحاديث التي تحث على التحلي بمكارم الأخلاق، وتنهى عن سفسافها وافرة معلومة.

۞ ورحم الله ابن الجوزي حيث قال : و البكاء ينبغي أن يكون على خساسة الهمم و لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم.(٧)

---

(١) رواه البخاري في "الأدب المفرد" رقم (٢٧٣) و أحمد (٢ / ٣١٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

قال ابن عبد البر : هو حديث صحيح متصل من وجوه صحاح عن أبي هريرة و غيره ، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في "الصحيحة"(٤٥) وقال شيخنا مقبل رحمه الله في الصحيح المسند(١٣٧٣) حديث حسن.

(٢) أخرجه الترمذي عن جابر رضي الله عنه وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في "الصحيحة" (٧٩١) .

(٣) أخرجه أبو داود والترمذي وزاد فيه وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ درجة صاحب الصوم والصلاة والحديث صحيح في "الصحيح المسند"(١٠٣٧) .

(٤) حسنه العلامة الألباني رحمه الله في "الصحيحة"(٩٧٧) .

(٥) صححه العلامة الألباني رحمه الله في "الصحيحة"(١٦٢٧) .

(٦) رواه الطبراني رقم (٢٨٩٤) وهو مخرج في "السلسلة الصحيحة" للعلامة الألباني رحمه الله (١٦٢٧) .

(٧) "صيد الخاطر" (ص٢٠٠) .

ملء الفراغ بما هو مفيد

ومن العواصم ملء الفراغ بما هو مفيد من علم نافع أو أمور مفيدة كتجارة حلال أو زراعة أو صناعة، ونحو ذلك ووسائل هذا كثيرة .وكل بحسب تأهله واستعداده.

۞ قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ومن أعظم الأشياء ضررًا على العبد بطالته وفراغه، فإن النفس لا تقعد فارغة، بل إن لم يشغلها بما ينفعها شغلته بما يضره ولا بد[1] فالمهم أن تشغل نفسك دائمًا بما ينفعك في دينك أو دنياك كما قال الله تعالى : ﴿**فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ**﴾ [الشرح: ٧] ﴿ **وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ**﴾ [الشرح: ٨] فإذا فرغت من عمل في الدنيا فاجتهد في عمل من عمل الآخرة كذكر الله وتلاوة القرآن وطلب العلم وسماع الأشرطة النافعة ...وإذا فرغت من طاعة فابدأ بأخرى ، وإذا فرغت من عمل من أعمال الدنيا فابدأ في آخر ... وهكذا ، لأن النفس أن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل ، فلا تدع لنفسك فرصة أو وقت فراغ تفكر في فاحشة من الفواحش أو معصية من المعاصي .

و إنما تشغل نفسك بخواطر الإيمان، والعمل الصالح، والعلم النافع، فلا تترك نفسك نهبًا للشيطان، فالنفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل ولا بد. كما يقول ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : من غَمَرَ قلبه بمحبة الله تعالى وذكره ، وخشيته ، والتوكل عليه ، والإنابة إليه ، أغناه ذلك عن محبة غيره وخشيته والتوكل عليه.[2]

إن شغل الأوقات وشحنها بالأعمال والواجبات، والانتقال من عمل إلى عمل ومن مهمة إلى أخرى، ولو كانت خفيفة، يحمي المرء من علل البطالة، ولوثات الفراغ، ويسلم من شرور الفراغ وأهله، ولقد كان السلف الصالحون يكرهون من الرجل أن يكون

---

(١) "طريق الهجرتين" (٢٧٥/١).

(٢) "إغاثة اللهفان" (١١٤/١) .

فارغًا لا هو في أمر دينه ولا هو في أمر دنياه .. ولهذا قيل : الفراغ للرجل غفلة وللنساء غلمة : أي محرك للغريزة .

ويشتد خطر الفراغ إذا اجتمع مع حيوية الشباب الذي يتميز بقوة الغريزة وفى هذا يقول أبو العتاهية[1] :

إِنَّ الشَّبَابَ وَالفَرَاغَ وَالجِدَه مَفْسَدَةٌ لِلْمَرْءِ أَيُّ مَفْسَدَه

ويقول آخر :

لقد هاجَ الفراغُ عليكَ شغلًا وأسبابُ البلاءِ من الفراغِ

وهذا حق لا يمكن إنكاره والله المستعان.

ترك الأحاديث الماجنة والنكات الفاحشة وما يثير الشهوات

ومن العواصم ترك الأحاديث الماجنة والنكات الفاحشة وما يثير الشهوات ويحرك الغرائز المحرمة؛ أو يُعلِّم طرق ممارسة الجريمة، فسماع الأغاني الفاتنة مثلا يزرع في القلوب محبة الزنا و الفساد؛ فيدفع ذلك إلى طلب المحرمات. و مشاهدة الصور الخليعة أيضا عبر المجلات أو القنوات أو غيرها تزرع في القلوب محبة الشرور فتندفع النفس اندفاعًا كليًا إلى أن يأتي المرء ما لا يحل له من زنا، أو شرب خمر، أو ما أشبه ذلك ، وكثير من رفقاء السوء لا تحلو مجالسهم و لا تلذّ إلا بمثل ذلك فيظل المسكين طوال ليله ونهاره و هو يتفكر بهذه المحرمات المرسومة في ذهنه لأنه قد رأى مناظر تحرك الجبال، فيقع في صراع داخلي بين شهوته وغريزته وبين دينه وخوفه من ربه، والبعض ممن لا دين له يصارع غريزته وخوفه من العار والعادات، ثم لا يلبث داعي الشهوة والغريزة أن ينتصر ويتغلب ويأخذ بناصية المسكين أو المسكينة إلى شفا النار وغضب الجبَّار .

---

(١) انظر "ديوانه"(ص ٤٤٨) .

ترك قراءة الكتب المثيرة والأشعار الفاضحة والمجلات الخليعة

ومن العواصم ترك قراءة الكتب المثيرة والأشعار الفاضحة والمجلات الخليعة فهناك كتب مثيرة وفجور تباع علنا في بعض البلاد توجد فيها الكثير من النصوص القبيحة، وتحتوي على الصور العارية التي تفسد الإنسان وتثير شهوتة وتكدر قلبه فلا يجوز للإنسان النظر إليها سواء كانت في التلفزيون أو في المجلة أو غير ذلك، من وسائل ترويج الفجور ؛ لأن هذا النظر بريد الزنا وسبب إلى الفجور والآثام ، فهذه الوسائل تمثل نماذج من الخلق الفاجر من طرق متنوعة فترك هذه الوسائل المذكورة في هذه النقطة من العوامل المهمة للقضاء على التساقط في حفر الشهوات المحرمة.

تسهيل أمور الزواج بين الشباب والفتيات

ومن العواصم تسهيل أمور الزواج بين الشباب والفتيات وتقريب سبله على الطالبين، ورفع الموانع التي تحول دونه أو تقلل منه ، ولقد حث الإسلام على ذلك وجاء بالنهي عن المغالاة في المهور والمبالغة في تكاليفه ، والإسراف والتبذير، وما يقع من منكرات في الأفراح التي تكون سببا في تعسيره وتثقيله والأخبار في ذلك كثيرة يطول ذكرها فمن ذلك خبر خير البشر محمد ﷺ فقد قال : لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما تزوج فاطمة رضي الله عنها «**أَعْطِهَا شَيْئًا**»، **قَالَ: مَا عِنْدِي شَيْءٌ، قَالَ: «أَيْنَ دِرْعُكَ الْحُطَمِيَّةُ؟»**[1]وهذه امرأة تهدي نفسها للرسول ﷺ ولم يكن للرسول ﷺ بها حاجة، فيقول له أحد الصحابة: **زَوِّجْنِيهَا، قَالَ: «مَا عِنْدَكَ؟» قَالَ: مَا عِنْدِي شَيْءٌ، قَالَ: «أَعْطِهَا وَلَوْ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ» قَالَ: مَا عِنْدِي شَيْءٌ،**

---

(١) "صحيح أبي داود" (١٨٤٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما .

قَالَ: «فَمَا عِنْدَكَ مِنَ القُرْآنِ؟» قَالَ: كَذَا وَكَذَا، قَالَ: «فَقَدْ مَلَّكْتُكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ القُرْآنِ».(١)

وروى الإمام النسائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من حديث **عَنْ أَنَسٍ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ، **قَالَ: "** خَطَبَ أَبُو طَلْحَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أُمَّ سُلَيْمٍ رضي الله عنها ، فَقَالَتْ: وَاللَّهِ مَا مِثْلُكَ يَا أَبَا طَلْحَةَ يُرَدُّ، وَلَكِنَّكَ رَجُلٌ كَافِرٌ، وَأَنَا امْرَأَةٌ مُسْلِمَةٌ، وَلَا يَحِلُّ لِي أَنْ أَتَزَوَّجَكَ، فَإِنْ تُسْلِمْ فَذَاكَ مَهْرِي وَمَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ، فَأَسْلَمَ فَكَانَ ذَلِكَ مَهْرَهَا " قَالَ ثَابِتٌ: «فَمَا سَمِعْتُ بِامْرَأَةٍ قَطُّ كَانَتْ أَكْرَمَ مَهْرًا مِنْ أُمِّ سُلَيْمٍ الْإِسْلَامَ، فَدَخَلَ بِهَا فَوَلَدَتْ لَهُ».(٢)

وفي "سنن ابن ماجه والدارمي" يقول قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ : لَا تُغَالُوا صَدَاقَ النِّسَاءِ، فَإِنَّهَا لَوْ كَانَتْ مَكْرُمَةً فِي الدُّنْيَا، أَوْ تَقْوًى عِنْدَ اللَّهِ، كَانَ أَوْلَاكُمْ وَأَحَقَّكُمْ بِهَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَا أَصْدَقَ امْرَأَةً مِنْ نِسَائِهِ، وَلَا أُصْدِقَتِ امْرَأَةٌ مِنْ بَنَاتِهِ أَكْثَرَ مِنَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أُوقِيَّةً، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُثَقِّلُ صَدَقَةَ امْرَأَتِهِ حَتَّى يَكُونَ لَهَا عَدَاوَةٌ فِي نَفْسِهِ، وَيَقُولُ: قَدْ كَلِفْتُ إِلَيْكِ عَلَقَ الْقِرْبَةِ، أَوْ عَرَقَ الْقِرْبَةِ " وَكُنْتُ رَجُلًا عَرَبِيًّا مَوْلِدًا، مَا أَدْرِي مَا عَلَقُ الْقِرْبَةِ، أَوْ عَرَقُ الْقِرْبَةِ.(٣)

فيا معاشر الآباء، اتقوا الله في أبناءكم وفي بناتكم، تساهلوا في المهور ويسروا أمور الزواج، وتخيروا الرجل الصالح ولا تكونوا سببًا في كساد بناتكم وإعضالهن وفوات قطار الزواج عليهن، حتى لا تندموا على ذلك ولات حين مندم.

وقد ذكروا عن امرأة في عصرنا الحاضر شابة تقدم إليها الخطاب، ولكن أباها رفض أن يزوجها ، فلما تقدم بها السن وحضرت أباها الوفاة، فقال لها: يا بنية، اجعليني في حل،

---

(١) أخرجه البخاري(٤٨٤٢) ومسلم (٣٥٥٣) .

(٢) صحيح النسائي (٣٣٤١).

(٣) صححه الألباني رحمه الله تعالى في "صحيح سنن ابن ماجه" (١٥٣٢) وفي "الإرواء" (١٩٣٢) .

سامحيني سامحك الله! قالت: والله لا أسامحك بل عليك لعنة الله كما حرمتني من حقي في الحياة.

وهذا رجل آخر أيضًا يزور أخته في المستشفى وقد تقدم بها السن ولم تتزوج، ولما أراد أن يزورها في آخر لحظة قالت له: اقترب مني يا أخي، فلما اقترب منها، قالت له : حرمك الله الجنة كما حرمتني من الزواج وفاضت روحها إلى الله.[١]

فهذه المآسي بسبب المغالاة في المهور وتعسير أمور الزواج، فاتقوا الله يا مسلمون يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا، وإلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض.

فلا بد من السعي الجاد إلى تسهيل أمور الزواج للشباب من خلال معونات مالية مباشرة أو تسهيلات في صورة قروض مُيسَّرة ، هذا بالإضافة إلى حث المسلمين على تقليل المهور والترغيب في ذلك على منابر المساجد وفي وسائل الإعلام وذكر الأمثلة التي تكون قدوة في تسهيل الزواج إذا وجد من الناس من يرد بعض ما يدفع إليه من مهر أو اقتصر على حفلة متواضعة لما في القدوة من التأثير ، نسأل الله أن يوفق المسلمين إلى ما فيه الخير.

قراءة قصص أهل العفاف والنزاهة من الرجال والنساء

ومن العواصم قراءة قصص أهل العفاف والنزاهة من الرجال والنساء فأَهْلِ الْعَفَافِ وْ أَهْلِ الْخَيْرِ وْ أَهْلِ الْفَضْلِ ، الذين غضوا أبصارهم عن الحرام كثر ولله الحمد والمنة وللعفيفين والعفيفات.. مع العفة أخبار كان أحدهم إذا عرضت له الفتنة يقول :

وَالله لـــوْ قِيـــلَ لِي تـــأتي بفَاحِشَـــةٍ وَإنّ عُقبـــاك دُنيانـــا وَمَـــا فِيهـــا

لقُلـتُ: لا وَالـذي أخـــشَى عُقوبتَـه وَلابأضـــعَافِهَا مَـــا كُنـــتُ آتِيهـــا

(١) وهناك نماذج أخرى من هذا الظلم تجدها في كتاب "كلمات من واقع الحياة" للشيخ سالم العجمي (٢١) وما بعدها .

ويوسف عليه السلام، استعصم من الوقوع في الفاحشة، وفر منها وتعفف مع وجود الأسباب والدواعي فرفع الله قدره وجعل له العاقبة، إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين، قال الله تعالى على لسانه عليه السلام: ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [يوسف:٢٣] ودعا ربه واستعان به على أن يصرف عنه كيد النساء، وفضل السجن على الوقوع في الفاحشة، قال الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [يوسف:٣٣-٣٤]، وهكذا ينبغي على المسلم أن يدعو الله أن يصرف عنه كيد النساء، وعليه اجتنابهن ما استطاع إلى ذلك سبيلًا والأمثلة في العفة كثيرة ولله الحمد .

التفكر في العرض على الله تعالى ومناقشته وتكليمه وأخذ الكُتُب

ومن العواصم التفكر في العرض على الله تعالى ومناقشته وتكليمه وأَخْذِ الكُتُب: فقد قال الله تعالى وبقوله يهتدي المهتدون:﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [ق:٢١-٢٩]. وفي الصحيحين[1] من حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ إِلَّا هَلَكَ**» قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، أَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

---

(١) البخاري (١٠٣) ومسلم(٢٨٧٦).

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ [الانشقاق: ٨] قَالَ: «ذَاكَ العَرْضُ يُعْرَضُونَ وَمَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ هَلَكَ»

وفي الصحيحين من حديث عن عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلاَ يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلاَ يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلاَ يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ »[١].

وتنادى على رؤوس الأشهاد، فلك أن تتصور هذا المشهد الذي يكاد يخلع القلوب.

كيف يكون حالك يوم أن تعطى صحيفة أعمالك التي لا تغادر بلية كتمتها ولا مخبأة أسررتها، فكم من معصية قد كنت نسيتها؟! ذكرك الله إياها، وكم من معصية قد كنت أخفيتها؟! أظهرها الله لك وأبداها!!!

فيا حسرة قلبك في تلك الحال على ما فرطت في دنياك من طاعة الله، واتباع الشهوات لأن الأمور تظهر على حقائقها ويصبح السر علانية والغيب شهادة والمغطى مكشوفًا والمخفي ظاهرًا وكل واحد سيجد ذلك حاضرا أمامه ماثلا بين عينيه لا محيص عنه ولا مفر : ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ۝١٣ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤] إنه موقف العرض على الله حين يتحقق قوله تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾ [طه: ١٠٨]وقوله تعالى :﴿ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ [طه: ١١١] ، ﴿ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُمْ مَّوْعِدًا ﴾ [الكهف: ٤٨] فهل فكرت في يوم من الأيام كيف سيكون موقفك يوم العرض على الله وأخذ الكتب؟ نسأل الله أن يعيننا على شدة الموقف وكربته.

---

(١) البخاري (٧٤٤٣)ومسلم (١٠١٦) .

التفكر في شهادة جوارحنا علينا

ومن العواصم التفكر في شهادة جوارحنا علينا وأننا في الآخرة لن نفلت من العقاب، ولن نقدر على الإنكار، فهناك شهود علينا: ألسنتا، أيدينا، أرجلنا، أبصارنا، أسماعنا، حتى جلودنا وكل جوارحنا يدعوها الله القادر المقتدر يوم القيامة أن تتقدم لتتكلم، فتشهد علينا بكل ما اجترحنا. يقول الله تَعَالَى : ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [يس: ٦٥].

وَقَالَ تَعَالَى :﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [فصلت: ٢١] .

وَقَالَ تَعَالَى :﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النور: ٢٤]

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦]

حتى الذي اقترفناه ثم نسيناه، فإن جوارحنا لا تنساه ولا تخطئه، فالله سبحانه وتعالى ينطق الجوارح بقدرته فتخبر كل جارحة منها بما صدر عنها من أفاعيل صاحبها ، فيقول اللسان: نطقتُ بكذا، وتقول اليد: بطشتُ، وتقول الرجل: مشيتُ، والجلد يشهد بما لَمِسَ ويقول لَمست كذا﴿ **أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ** ﴾ [المجادلة:٦] والحكمة في ذلك كله إظهار كمال عدل الله تعالى ، وإقامة الحجة على العباد بما عملوا ..فاللّٰهُمَّ سلم سلم.

التفكر في شهادة المكان الذي تعصي الله فيه عليك

ومن العواصم التفكر في شهادة المكان الذي تعصي الله فيه عليك وهكذا شهادة الأرض التي تمارس عليها المعصية ،قال الله تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ [الزلزلة: ٤] يقول المفسرون : أي تخبر الأرض بما عمل عليها من خير أو شرٍّ يوم القيامة ، وهذا يستلزم سمعها لما قيل ورؤيتها لما فعل وهذا يدعو إلى الحذر فمهما تخيرت من مكان لتعصي

الله فيه فإن الأرض شاهدة عليك فإياك إياك أن تنسى هذه الحقيقة ولتكن منك على بال.

عيادة المرضى وتشييع الجنائز وزيارة القبور ومشاهدة المحتضرين

ومن العواصم عيادة المرضى وتشييع الجنائز وزيارة القبور ومشاهدة المحتضرين فكل هذه فيها من العظة والعبرة والذكرى بالموت والدار الآخرة مما يقطع على النفوس لذاتها المحرمة، ويطرد عن القلوب مسراتها، ويبعث على العمل الصالح، ويزيد في الاجتهاد والتعب. ولهذا يقول الرسول ﷺ : «**زُورُوا الْقُبُورَ؛ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمُ الْآخِرَةَ**». (١)

ويرْوى أَن الْحسن الْبَصْرِيّ رَحِمَهُ اللَّهُ : دخل على مَرِيض يعودهُ فَوَجَدَهُ فِي سَكَرَات الْمَوْت فَنظر إِلَى كربه وعلته وَشدَّة مَا نزل بِهِ فَرجع إِلَى أَهله بِغَيْر اللَّوْن الَّذِي خرج بِهِ من عِنْدهم فَقَالُوا لَهُ الطَّعَام يَرْحَمك الله أتأكل فَقَالَ يَا أهلاه عَلَيْكُم بطعامكم

وشرابكم فوَاللَّه لقد رَأَيْت مصرعا لَا أَزَال أعمل لَهُ حَتَّى أَلْقَاهُ (٢)، فهكذا فلتكن اليقظة.

الانتقال من مكان المعصية إلى مكان الطاعة

ومن العواصم الانتقال من مكان المعصية إلى مكان الطاعة فإذا خشي المسلم على نفسه الفتنة في دينه والوقوع فيما حرم الله عز وجل عليه، في مكان ما فالواجب عليه أن يهجر مكان المعصية التي يخاف الوقوع فيها، لأنه ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب وهذا من الأسباب المهمة في ترك المعاصي. كما يدل له الحديث الذي في "الصحيحين" في الرجل

---

(١) أخرجه ابن ماجه(١٢٧٥) عن أبي هريرة وهو صحيح انظر "أحكام الجنائز" (١٧٨ – ١٨٩) .

(٢) "التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة" (١٧) .

الذي قتل مائة نفس فأمره العالم بالانتقال من بلده إلى بلد فيه ناس صالحون ؛ لأن وجود العبد في المكان الذي فيه معصية تجعله يحن إليها، فالبعد والانسلاخ عن مكان المعصية من أنفع الأدوية لعلاج اقتراف المعاصي ؛ والله المستعان.

قطع الخواطر الرديئة والتلهي عن ذلك بطاعة الله

ومن العواصم قطع الخواطر الرديئة والتلهي عن ذلك بطاعة الله.

۞ قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : وَأعلم أَن الخاطرات والوساوس تُؤدِّي متعلقاتها إِلَى الْفِكر فيأخذها الْفِكر فيؤديها إِلَى التَّذَكُّر فيأخذها الذّكر فيؤديها إِلَى الْإِرَادَة فتأخذها الْإِرَادَة فتؤديها إِلَى الْجَوَارِح وَالْعَمَل فتستحكم فَتَصِير عَادَة فرّدها من مبادئها أسهل من قطعهَا بعد قوتها وتمامها وَمَعْلُوم أَنه لم يُعْط الْإِنْسَان إماتة الخواطر وَلَا الْقُوَّة على قطعهَا فَإِنَّهَا تهجم عَلَيْهِ هجوم النَّفس إِلَّا أَن قُوَّة الْإِيمَان وَالْعقل تعينه على قبُول أحْسنهَا وَرضَاهُ بِهِ ومساكنته لَهُ وعَلى رفع أقبحها وكراهته لَهُ نفرته مِنْهُ كَمَا قَالَ الصَّحَابَة يَا رَسُول الله إِن أَحَدنَا يجد فِي نَفسه مَا لِأَن يَحْتَرِق حَتَّى يصير حممة أحب إِلَيْهِ من أَن يتَكَلَّم بِهِ فَقَالَ أَو قد وجدتموه قَالُوا نعم قَالَ ذَاك صَرِيح الْإِيمَان ، وَفِي لفظ الْحَمد لله الَّذِي رد كَيده إِلَى الوسوسة، وَفِيه قَولَانِ : أَحدهمَا : أَن رده وكراهيته صَرِيح الْإِيمَان .

وَالثَّانِي : أَن وجوده وإلقاء الشَّيْطَان لَهُ فِي النَّفس صَرِيح الْإِيمَان فَإِنَّهُ إِنَّمَا أَلْقَاهُ فِي النَّفس طلبا لمعارضة الْإِيمَان وإزالته بِهِ وَقد خلق الله سُبْحَانَهُ النَّفس شَبيهَة بالرحا الدائرة الَّتِي لَا تسكن وَلَا بُد لَهَا من شَيْء تطحنه فَإِن وضع فِيهَا حب طحنته وَإِن وضع فِيهَا تُرَاب أَو حصا طحنته فلأفكار والخواطر الَّتِي تجول فِي النَّفس هِيَ بِمَنْزِلَة الْحبّ الَّذِي يوضع فِي الرحا وَلَا تبقى تِلْكَ الرحا معطلة قطّ بل لَا بُد لَهَا من شَيْء يوضع فِيهَا فَمن النَّاس من تطحن رحاه حبا يخرج دَقِيقًا ينفع بِهِ نَفسه وَغَيره وَأَكْثَرهم يطحن رملا وحصا وتبنا وَنَحْو ذَلِك فَإِذا جَاءَ وَقت العجن وَالْخبْز تبيّن لَهُ حَقِيقَة طحينه .

فَإِذا دفعت الخاطر الْوَارِد عَلَيْك انْدفع عَنْك مَا بعده وَإِن قبلته صَار فكرا جوّالا فاستخدم الْإِرَادَة فتساعدت هِيَ والفكر على اسْتِخْدَام الْجَوَارِح فَإِن تعذّر استخدامها

رجعا إِلَى الْقلب بالمني والشهوة وتوجهه إِلَى جِهَة المُرَاد وَمن الْمَعْلُوم أَن إِصْلَاح الخواطر أسهل من إِصْلَاح الأفكار وَإِصْلَاح الأفكار أسهل من إِصْلَاح الإرادات وَإِصْلَاح الإرادات أسهل من تدارك فَسَاد الْعَمَل وتداركه أسهل من قطع العوائد فأنفع الدَّوَاء أَن تشغل نَفسك بالفكر فِيمَا يَعْنِيك دون مَالا يَعْنِيك فالفكر فِيمَا لَا يَعْنِي بَاب كل شَرّ وَمن فكّر فِيمَا لَا يعنيه فَاتَهُ مَا يعنيه واشتغل عَن أَنْفَع الْأَشْيَاء لَهُ بِمَا لَا مَنْفَعَة لَهُ فِيهِ فالفكر والخواطر والإرادة والهمة أَحَق شَيْء بإصلاحه من نَفسك فَإِن هَذِه خاصتك وحقيقتك الَّتِي تبتعد بهَا أَو تقرب من إلهك ومعبودك الَّذِي لَا سَعَادَة لَك إِلَّا فِي قربه وَرضَاهُ عَنْك وكل الشَّقَاء فِي بعْدك عَنهُ وَسخطه عَلَيْك وَمن كَانَ فِي خواطره ومجالات فكره دنيئا خسيسا لم يكن فِي سَائِر أمره إِلَّا كَذَلِك وَإِيَّاك أَن تمكّن الشَّيْطَان من بَيت أفكارك وإرادتك فَإِنَّهُ يُفْسِدهَا عَلَيْك فَسَادًا يصعب تَدَارُكه ويلقي إِلَيْك أَنْوَاع الوساوس والأفكار المضرّة ويحول بَيْنك وَبَين الْفِكر فِيمَا ينفعك وَأَنت الَّذِي أعنته على نَفسك بتمكينه من قَلْبك وخواطرك فملكها عَلَيْك فمثالك مَعَه مِثَال صَاحب رَحا يطحن فِيهَا جيّد الْحُبُوب فَأَتَاهُ شخص مَعَه حمل تُرَاب وبعر وفحم وغثاء ليطحنه فِي طاحونته فَإِن طرده وَلم يُمكنهُ من إِلْقَاء مَا مَعَه فِي الطاحون اسْتمرّ على طحن مَا يَنْفَعهُ وَإِن مكنه فِي إِلْقَاء ذَلِك فِي الطاحون أفسد مَا فِيهَا من الْحَبّ وَخرج الطحين كُله فَاسِدا وَالَّذِي يلقيه الشَّيْطَان فِي النَّفس لَا يخرج عَن الْفِكر فِيمَا كَانَ وَدخل الْوُجُود لَو كَانَ على خلاف وَذَلِكَ وَفِيمَا لم يكن لَو كَانَ كَيفَ كَانَ يكون أَو فِيمَا يملك الْفِكر فِيهِ من أَنْوَاع الْفَوَاحِش وَالْحَرَام أَو فِي خيالات وهمية لاحقيقة لَهَا وَإِمَّا فِي بَاطِل أَو فِيمَا لَا سَبِيل إِلَى إِدْرَاكه من أَنْوَاع مَا طوى عَنهُ علمه فيلقيه فِي تِلْكَ الخواطر الَّتِي لَا يبلغ مِنْهَا غَايَة وَلَا يقف مِنْهَا على نِهَايَة فَيجْعَل ذَلِك مجَال فكره ومسرح وهمه.[1]

---

(١) انظر "فوائد الفوائد" (٢٦٩-٢٧٢). بتصرف.

تذكر ما لا يستحسن من المرأة

ومن العواصم تذكر ما لا يستحسن من المرأة من بول وغائط وعرق وحيض حتى تنفر نفسك من الوقوع في الشهوة المحرمة ويتذكر أن المرأة الفاسقة بؤرة للأمراض الخطيرة قال عبد الله بن مسعود : **إِذَا أَعْجَبَتْ أَحَدَكُمُ امْرَأَةٌ فَلْيَذْكُرْ مَنَاتِنَهَا.** (١)

يعني : يتذكر رائحة فمها الكريهة.. وغائطها.. وبولها.. وقيئها الذي يملأ فمها.. ومخاطها الذي يقذر أنفها.. ويتخيل حالها لو أصابها جدري أو جذام.. واعلم أن الشيطان يزين لك المعشوق.. وإن كان قبيحًا ولهذا ورد في الحديث الصحيح «**المَرْأَةُ عَوْرَةٌ، فَإِذَا خَرَجَتْ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ**» .

❁ قال الشيخ علي القاري في "المرقاة" (٣ / ٤١١) : أي زينها في نظر الرجال . و قيل أي نظر إليها ليغويها ، و يغوي بها "(٢).

❁ قال المتنبي :

لَوْ فَكَّرَ الْعَاشِقُ فِي مُنْتَـــــهَى حُسْنِ الَّذِي يُسْبِيهِ لَمْ يُسْبِهِ(٣)

وجاء في الأدب الكبير، لابن المقفع: (اعلم أن من أوقع الأمور في الدين، وأنهكها للجسد، وأتلفها للمال، وأجلبها للعار، وأزراها للمروءة، وأسرعها في ذهاب الجلالة والوقار: الغرام بالنساء ، ومن العجب أن الرجل لا بأس بلبّه ورأيه يرى المرأة من بعيد متلففة في ثيابها، فيصوّر لها في قلبه الحُسن والجمال حتى تعلق بها نفسه من غير رؤية ولا خبر مخبر، ثم

---

(١) قال العلامة الألباني رحمه الله في "إرواء الغليل" رقم (١٧٨٩) : لم أقف على سنده إلى ابن مسعود رضي الله عنه .
وقد أخرج ابن أبي شيبة (١/٥٢) بإسناد رجاله ثقات نحوه عن إبراهيم فى الرجل يرى المرأة فتعجبه ، قال: " يذكر مناتنها .

(٢) انظر" السلسلة الصحيحة" (٦ / ٤٢٤) .

(٣) "صيد الخاطر" (ص١٠٦) .

لعله يهجم منها على أقبح القبح، وأدمّ الدمامة، فلا يعظه ذلك؛ ولا يقطعه عن أمثالها، ولا يزال مشغوفًا بما لم يذق، حتى لو لم يبق في الأرض غير امرأة واحدة، لظن أن لها شأنًا غير شأن ما ذاق، وهذا هو الحمق والشقاء والسفه.

❁ وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : و اعلم أنه ينبغي للعاقل أن يغالط نفسه فيما يكشف العقل عن عواره فإن فكر المتيقظ قبل مباشرة المرأة إلى أنها اعتناق بجسد يحتوي على قذارة و قبل بلع اللقمة إلى أنها متقلبة في الريق و لو أخرجها الإنسان لفظها و لو فكرت في قرب الموت و ما يجري عليه بعده لبغض عاجل لذته فلا بد من مغالطة تجري لينتفع الإنسان بعيشة .[1]

معرفة أضرار الزنا وغيره الخطيرة

ومن العواصم معرفة أضرار الزنا وغيره الخطيرة في الدين والدنيا والأمراض التي يسببها .

❁ وقد تحدّث ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في غير موضع عن مفاسد الزنا وما يحويه من أنواع الشرور ... فكان مما قاله رَحِمَهُ ٱللَّهُ : والزنا يجمع خلال الشر كلها من قلة الدين وذهاب الورع، وفساد المروءة وقلة الغيرة، فلا تجد زانيًا معه ورع، ولا وفاء بعهد، ولا صدق في حديث، ولا محافظة على صديق، ولا غيرة تامة على أهله... ..ومن موجباته: غضب الرب بإفساد حرمة عياله، ومنها: سواد الوجه وظلمته وما يعلوه من الكآبة والمقت، ومنها ظلمة القلب وطمس نوره ...

ومنها : أنه يذهب حرمة فاعله، ويسقط من عين ربه ومن أعين عباده .

ومنها: أن يسلبه أحسن الأسماء ويعطيه أضدادها.

---

(١) "صيد الخاطر"(٢٥٤).

ومنها : ضيق الصدر وحرجه ؛ فإن الزناة يعاملون بضدّ قصودهم؛ فإن من طلب لذة العيش وطيبه بما حرمه الله عليه عاقبه بنقيض قصده؛ فإن ما عند الله لا يُنال إلا بطاعته، ولم يجعل الله معصيته سببًا إلى خير قط.(١)

❁ وقال في موضع آخر: واعلم أن الجزاء من جنس العمل والقلب المعلّق بالحرام، كلما همّ أن يفارقه ويخرج منه عاد إليه، ولهذا يكون جزاؤه في البرزخ وفي الآخرة هكذا .

وفي بعض طرق حديث سَمُرة بن جندب الذي في "صحيح البخاري"(٢) أن النبي ﷺ قال : رأيت الليلة رجلين أتياني فأخرجاني فانطلقت معهما، فإذا بيت مبني على مثل بناء التنور أعلاه ضيّق وأسفله واسع، يوقد تحته نار، فيه رجال ونساء عراة، فإذا أوقدت النار ارتفعوا حتى يكادوا أن يخرجوا، فإذا أخمدت رجعوا فيها، فقلت: من هؤلاء؟ قال: هم الزناة . فتأمل مطابقة هذا الحديث لحال قلوبهم في الدنيا؛ فإنهم كلما هموا بالتوبة والإقلاع والخروج من تنور الشهوة إلى فضاء التوبة أُركِسوا فيه وعادوا بعد أن كادوا يخرجون.(٣)

❁ وقال في موضع ثالث : وليعلم اللبيب أن مدمني الشهوات يصيرون إلى حالة لا يلتذون بها وهم مع ذلك لا يستطيعون تركها؛ لأنها قد صارت عندهم بمنزلة العيش الذي لا بد لهم منه، ولهذا ترى مدمن الخمر والجماع لا يلتذ بهما عشر معشار من يفعله نادرًا في الأحيان.(٤)

ومما ذكره الشيخ محمد الخضر حسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "مفاسد البغاء" قوله: في البغاء فساد كبير، وشر مستطير: يفتك بالفضيلة، يدنس الأعراض، يعكر صفو الأمن، يفصم رابطة

---

(١) "روضة المحبين" (ص٣٦٠) .

(٢) برقم (١٣٨٦) .

(٣) "روضة المحبين"(ص٤٤٢).

(٤) "روضة المحبين" (٤٧٠) .

الوفاق، يبعث الأمراض القاتلة في الأجسام، وأي حياة لجماعة تضيع أخلاقها وتتسخ أعراضها، ويختل أمنها، وتدب البغضاء في نفوسها، وتنهك العلل أجسامها .[١]

ودونك أيها القارئ أيضا نبذة مختصرة من أضرار الزنا الدنيوية والأخروية :

أ- عدم قبول وإجابة دعاء الزاني والزانية ، روى أحمد والطبراني واللفظ له بإسناد صحيح[٢]: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنه **قَالَ: « تُفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ نِصْفَ اللَّيْلِ فَيُنَادِي مُنَادٍ: هَلْ مِنْ دَاعٍ فَيُسْتَجَابُ لَهُ، هَلْ مِنْ سَائِلٍ فيعْطَى، هَلْ مِنْ مَكْرُوبٍ فَيُفَرَّجَ عَنْهُ، فَلَا يَبْقَى مُسْلِمٌ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ، إِلَّا زَانِيَةً تَسْعَى بِفَرْجِهَا، أَوْ عَشَّارًا »** .

ب- الزنا يجر إلى غيره من موبقات الكبائر ، فهو يجر إلى جريمة القتل ظلمًا وعدوانًا، وغيرها من الجرائم كما هو واقع .

❁ قال سيد سابق: وهو أحد أسباب جريمة القتل إذ أن الغيرة من طبيعة الإنسان ، وقلما يرضى الرجل الكريم أو المرأة العفيفة بالانحراف الجنسي.[٣]

ج- نزع الإيمان من مرتكبه ، حين مواقعته به ؛ فقد أخرج الحاكم ، وأبو داود[٤]:أن رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**إِذَا زَنَى الرَّجُلُ خَرَجَ مِنْهُ الْإِيمَانُ كَانَ عَلَيْهِ كَالظُّلَّةِ، فَإِذَا انْقَطَعَ رَجَعَ إِلَيْهِ الْإِيمَانُ**».

وفي "الصحيحين"[٥]عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «**لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ** ».

---

(١) "رسائل الإصلاح" (ص٢٣) .

(٢) صححه الألباني رحمه الله في " السلسلة الصحيحة "(٣ / ٦٢) .

(٣) "فقه السنة" (٤٠١/٢) .

(٤) قال الألباني رحمه الله في "السلسلة الصحيحة"(٢ / ٢٢):صحيح على شرط مسلم .

(٥) البخاري (٢٤٧٥) ومسلم (٥٧) .

د- أنه سبب لعموم العذاب ؛ فقد أخرج أحمد بسند حسن لغيره[١] عَنْ مَيْمُونَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**لَا تَزَالُ أُمَّتِي بِخَيْرٍ مَا لَمْ يَفْشُ فِيهِمْ وَلَدُ الزِّنَا، فَإِذَا فَشَا فِيهِمْ وَلَدُ الزِّنَا، فَيُوشِكُ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِعِقَابٍ**» .

هـ- أخذ من حسنات الزاني في بعض الحالات يوم القيامة ؛ فقد أخرج مسلم[٢] عَنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**حُرْمَةُ نِسَاءِ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ كَحُرْمَةِ أُمَّهَاتِهِمْ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ مِنَ الْقَاعِدِينَ يَخْلُفُ رَجُلًا مِنَ الْمُجَاهِدِينَ فِي أَهْلِهِ فَيَخُونُهُ فِيهِمْ، إِلَّا وُقِفَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَأْخُذُ مِنْ عَمَلِهِ مَا شَاءَ، فَمَا ظَنُّكُمْ** »وزاد أبو داود [٣]: « **إِلَّا نُصِبَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَقِيلَ لَهُ: هَذَا قَدْ خَلَفَكَ فِي أَهْلِكَ، فَخُذْ مِنْ حَسَنَاتِهِ مَا شِئْتَ** » ، ورواه النسائي وزاد: «**مَا ظَنُّكُمْ تُرَوْنَ يَدَعُ لَهُ مِنْ حَسَنَاتِهِ شَيْئًا؟**» .[٤]

و- وهو أيضا من أسباب تفشي الأمراض الفتاكة المستعصية ؛ فقد أخرج ابن ماجه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ، قَالَ: أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: « **يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ، حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ، وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا،** »[٥] . . الخ الحديث المعروف .

وأخرج الحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم من حديث بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**مَا نَقَضَ قَوْمٌ الْعَهْدَ قَطُّ، إِلَّا كَانَ الْقَتْلُ بَيْنَهُمْ، وَلَا ظَهَرَتِ الْفَاحِشَةُ فِي**

---

(١) قال الألباني رحمه الله في "صحيح الترغيب" (٢٤٠٠) حسن لغيره .

(٢) برقم(١٨٩٧) .

(٣) وصحح هذه الزيادة الألباني رحمه الله تعالى في "صحيح أبي داود" (٢١٨٠) .

(٤) وصحح أيضا هذه الزيادة الألباني رحمه الله تعالى في "صحيح النسائي" (٣١٩١) .

(٥) حسنه الألباني في "السلسلة الصحيحة"(١ / ١٦٧)

قَوْمٍ قَطُّ، إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْمَوْتَ، وَلَا مَنَعَ قَوْمٌ الزَّكَاةَ، إِلَّا حَبَسَ اللَّهُ عَنْهُمُ الْقَطْرَ» [١]

ز- ومن عقوبات الفواحش عدم نظر الله إليه يوم القيامة نظر رحمة وتكريم فقد أخرج الترمذي والنسائي وابن حبان في "صحيحه" من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى رَجُلٍ أَتَى رَجُلًا أَوْ امْرَأَةً فِي الدُّبُرِ**» .[٢]

ح- التفكك الأسري:

❁ قال سيد سابق: "والزنا يفسد نظام البيت، ويهزُّ كيان الأسرة، ويقطع العلاقة الزوجية، ويعرِّض الأولاد لسوء التربية، مما يتسبب عنه التشرد والانحراف والجريمة.[٣]

ط- ضياع الأنساب وخراب الدنيا:

❁ قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ : وأما زنا الرجل فإنه يوجب اختلاط الأنساب أيضاً، وإفساد المرأة المصونة، وتعريضها للتلف والمفاسد، وفي هذه الكبيرة خراب الدنيا والدين)اهـ

❁ وقال : ولما كانت مفسدة الزنا من أعظم المفاسد وهى منافية لمصلحة نظام العالم في حفظ الأنساب وحمايه الفروج وصيانة الحرمات وتوقي ما يوقع أعظم العداوة والبغضاء بين الناس من إفساد كل منهم امرأة صاحبه وبنته وأخته وأمه وفى ذلك خراب العالم كانت تلى مفسدة القتل في الكبر ولهذا قرنها الله سبحانه بها في كتابه ورسوله ﷺ في سنته .[٤]

ي- يورث الأمراض النفسية والقلبية:

---

(١) صحيح لغيره قاله العلامة الألباني رحمه الله في "صحيح الترغيب"(٢٤١٨) .

(٢) وقال العلامة الألباني رحمه الله في "صحيح الترغيب" (٢٤٢٤) صحيح .

(٣) "فقه السنة" (٣٩٧/٢) .

(٤) "الداء والدواء" (ص١٧٧ و١٩٣) .

❁ قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ومن خاصيته أيضًا أنه يشتت القلب ويمرضه إن لم يمِته، ويجلب الهمَّ والحزن والخوف، ويباعد صاحبَه من الملك، ويقربه من الشيطان.[١]

ك- يورث نفرة العباد من الزناة وسقوطهم من أعينهم:

❁ قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذكر مضار الزنا: ومنها أنه يذهب حرمة فاعله ويسقط من عين ربه ومن أعين عباده، ومنها: قلة الهيبة التي تنزع من صدور أهله وأصحابه وغيرهم، وهو أحقر شيء في نفوسهم وعيونهم، بخلاف العفيف فإنه يرزق المهابة والحلاوة.[٢]

أما أضرار الزنا الصحية ، حسب العلم الحديث فيقول الدكتور الفرنسي عبدالمعطي[٣]الذي أسلم حديثا وكان قبل إسلامه طبيبا وقرأ القرآن فوجد فيه عجائب طبية فأسلم ، يقول هذا الطبيب : وحسب الإنسان أن يعلم أن الزنا ينشر أمراضا خطيرة فتاكة كالزهري والسيلان والرخوة والقرحة الأكالة .

كل واحدة منها أخطر من غيرها . ويعتقد أن الزهري أخطرها لأنه يقود إلى الشلل ، وتصلب الشرايين ، والذبحة الصدرية وسقوط الشعر ، وفي المرأة الإجهاض ، وفي الجنين البله ، والضمور العضلي والوراثي ، والسيلان ، ويؤدي إلى العقم والتهاب الجهاز التناسلي بأجمعه والعمى وروماتزم الشبان .ثم ذكر جملة من الأمراض.

❁ وقال سيد سابق: إنه سبب مباشر في انتشار الأمراض الخطيرة التي تفتك بالأبدان وتنتقل بالوراثة من الآباء إلى الأبناء وأبناء الأبناء كالزهري والسيلان والقرحة ، فهذه اللمحة من أضرار الزنا تكفي العاقل وإلا فأضراره الدنيوية والأخروية تستوعب

---

(١) "الداء والدواء" (ص١٩٣) .

(٢) "روضة المحبين" (٣٦٢/١) .

(٣) كما في إحدى مجلات "البحوث الإسلامية".

مئات الصفحات ، نسأل الله السلامة.

التفكر فيما يفوته الزنا وغيره من الفواحش المحرمة من فضائل وفيما يجلبه من رذائل.

ومن العواصم التفكر فيما يفوته الزنا وغيره من الفواحش المحرمة من فضائل وفيما يجلبه من رذائل فإنه يسبب الوحشةُ التي تُوضع في قلب الزاني، وهي نظيرُ الوحشةِ التي تعلو وجهَه؛ فالعفيفُ على وجهه حلاوةٌ، وفي قلبه أنسٌ، ومَنْ جالسه استأنس به، والزاني بالعكس من ذلك تمامًا .

ولو علم الفاجر ما في العفاف من اللذة، والسرور، وانشراح الصدر، وطيب العيش لرأى أن ما فاته أضعافُ أضعافِ ما حصل له ، فيا لله كم يفوت من فضيلة وكم يجلب من رذيلة ولكن ما لجرح بميت إيلام.

التفكر في القصاص يوم القيامة في حق من أساء إليهم

ومن العواصم التفكر في القصاص يوم القيامة في حق من أساء إليهم بأي وجه من وجوه الإساءة والظلم ومعلوم أن القصاص يوم القيامة إنما يكون بالحسنات والسيئات كما في حديث جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما ، قال : بَلَغَنِي حَدِيثٌ عَنْ رَجُلٍ سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاشْتَرَيْتُ بَعِيرًا، ثُمَّ شَدَدْتُ عَلَيْهِ رَحْلِي، فَسِرْتُ إِلَيْهِ شَهْرًا، حَتَّى قَدِمْتُ عَلَيْهِ الشَّامَ فَإِذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُنَيْسٍ، فَقُلْتُ لِلْبَوَّابِ: قُلْ لَهُ: جَابِرٌ عَلَى الْبَابِ، فَقَالَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَخَرَجَ يَطَأُ ثَوْبَهُ فَاعْتَنَقَنِي، وَاعْتَنَقْتُهُ، فَقُلْتُ: حَدِيثًا بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْقِصَاصِ، فَخَشِيتُ أَنْ تَمُوتَ، أَوْ أَمُوتَ قَبْلَ أَنْ أَسْمَعَهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: « **يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - أَوْ قَالَ: الْعِبَادُ - عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا** » قَالَ: قُلْنَا: وَمَا بُهْمًا؟ قَالَ: « **لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مِنْ بُعْدٍ كَمَا يَسْمَعُهُ مِنْ قُرْبٍ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ،**

وَلَهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَقٌّ، حَتَّى أَقُصَّهُ مِنْهُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ، وَلِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عِنْدَهُ حَقٌّ، حَتَّى أَقُصَّهُ مِنْهُ، حَتَّى اللَّطْمَةُ " قَالَ: قُلْنَا: كَيْفَ وَإِنَّا إِنَّمَا نَأْتِي اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا؟ قَالَ: «بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ». رواه أحمد بإسناد حسن[1]أي : أنه يؤخذ من حسنات الظالم وتعطى للمظلوم فإذا كان الظالم ظلمه أكثر من حسناته بحيث تفنى حسناته فإنه يؤخذ من سيئاتهم فطرحت عليه فطرح في النار وهذا المعنى بينه الرسول ﷺ في الحديث المشهور بحديث المفلس الذي قال فيه الرسول الله ﷺ : «**أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟**» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «**إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ**» رواه مسلم.[2]

الحذر التام من نزول العذاب في الدنيا والابتلاء بالمصائب الشديدة

ومما يعصم عن الوقوع في الشهوات هو الحذر التام من نزول العذاب في الدنيا والابتلاء بالمصائب الشديدة لأن الزنا مثلا يجمع خلال الشر كلَّها، ويتضمن الأضرار جميعَها، وبه تعمّ الأمراض الفتاكة في المجتمع، وعن طريقه تحل البلايا والرزايا بشتى أنواعها ومختلف صورها، فإنه يخلط الأنسابَ، ويذهب بمعاني الأسرة الفاضلة، وينزع البركات، ويضيق الأرزاق، ناهيك عما يحدثه من وحشة وعداوة بين بني الإنسان، وما يوقعه من أمراض وأدواء متنوعة، أقلقت البشر، وأخافت الدول الصغار والكبار.

---

(١) حسنه العلامة الألباني رحمه الله في "صحيح الأدب المفرد" (٩٧٠).

(٢) برقم(٢٥٨١).

واستمع إلى النبي ﷺ وهو يبن لنا تلك الأضرار، وينذرنا من تلك المخاطر والأشرار، الناجمة من جراء تلك الفواحش فعَنْ مَيْمُونَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**لَا تَزَالُ أُمَّتِي بِخَيْرٍ مَا لَمْ يَفْشُ فِيهِمْ وَلَدُ الزِّنَا، فَإِذَا فَشَا فِيهِمْ وَلَدُ الزِّنَا، فَيُوشِكُ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِعِقَابٍ**» .رواه الإمام أحمد بإسناد حسن[(١)]، وفي حديث عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**إِذَا ظَهَرَ الزِّنَا وَالرِّبَا فِي قَرْيَةٍ، فَقَدْ أَحَلُّوا بِأَنْفُسِهِمْ عَذَابَ اللَّهِ** » . هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد.[(٢)]

وعند الحاكم أيضا والبيهقي من حديث بُرَيْدَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**مَا نَقَضَ قَوْمٌ الْعَهْدَ قَطُّ، إِلَّا كَانَ الْقَتْلُ بَيْنَهُمْ، وَلَا ظَهَرَتِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ، إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْمَوْتَ، وَلَا مَنَعَ قَوْمٌ الزَّكَاةَ، إِلَّا حَبَسَ اللَّهُ عَنْهُمُ الْقَطْرَ**»[(٣)].

وفي حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قوله ﷺ : «**لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ، حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ، وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا**» ، رواه ابن ماجه، وصححه الحاكم، وسكت عليه الذهبي.[(٤)]

وأختم هذه الفقرة بقول جميل جدًا لابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ حيث يقول : من تأمل أفعال الباري سبحانه رآها على قانون العدل و شاهد الجزاء مراصدا و لو بعد حين فلا ينبغي أن يغتر مسامح فالجزاء قد يتأخر و من أقبح الذنوب التي قد أعد لها الجزاء العظيم الإصرار على الذنب ثم يصانع صاحبه باستغفار و صلاة و تعبد و عنده أن المصانعة تنفع و أعظم

---

(١)كذا قال المنذري وحسنه لغيره العلامة الألباني رحمه الله في "صحيح الترغيب" (٢٤٠٠) .

(٢) وحسنه لغيره العلامة الألباني رحمه الله في "صحيح الترغيب"(٢٤٠١) .

(٣) حديث حسن انظر "الصحيحة" (١ / ١٦٧) برقم(١٠٦) .

(٤) الحديث بطرقه وشواهده صحيح بلا ريب ، قاله العلامة الألباني في "السلسلة الصحيحة" (١ / ١٦٩).

الخلق اغترارا من أتى ما يكرهه الله تعالى و طلب منه ما يحبه .

و مما ينبغي للعاقل أن يترصد و قوع الجزاء فإن ابن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال : عيرت رجلا فقلت : يا مفلس فأفلست بعد أربعين سنة .

۞ و قال ابن الجلا : رآني شيخ لي و أنا أنظر إلى أمرد فقال : ما هذا ؟ لتجدن غبتها فنسيت القرآن بعد أربعين سنة ، و بالضد من هذا كل من عمل خيرا أو صحح نية فلينتظر جزاءها الحسن و إن امتدت المدة قال الله عز و جل :﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [يوسف: ٩٠] فليعلم العاقل أن ميزان العدل لا يحابى والله المستعان.(١)

استعمال بعض الأغذية التي تقلل الباءه (الشهوة)

ومن العواصم استعمال بعض الأغذية التي تقلل الباءه (الشهوة) ومحاولة التقلل من الأطعمة والأشربة التي تثير الشهوة وتحركها، قدر المستطاع مع مراعاة الإكثار من الصيام فإن هذا من الأسباب والطرق القوية للتغلب على الشهوة وإضعافها وكسر حدتها مع ما في ذلك من تضييق المجاري على الشيطان بتضييق مجاري الطعام والشراب ففي الصحيح من حديث صفية بنت حيي رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت : قال : رسول الله ﷺ : «**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ**».(٢)

فتسكن بذلك وساوس الشيطان فإنَّ منشأَ المعاصي كلِّها الشهواتُ والقوى، ومادةُ القوى والشهواتِ لا محالة الأطعمة. قال ذو النون: ما شبعتُ قطُّ إلا عصيتُ أو هممتُ بمعصية ، فمن أخطرِ المهلكاتِ لابنِ آدمَ شهوةُ البطن، والبطنُ ينبوع الشهواتِ ومَنبتُ

---

(١) "صيد الخاطر" (ص٣٩) .

(٢) البخاري(٦٧٥٠) ومسلم (٢١٧٥).

الأدواء والآفات.

فجرب تجد تصديق ما قد ذكرناه والله الموفق وحده لا سواه.

إعمال الفكر والإصغاء إلى واعظ القلب

ومن أهم العواصم إعمال الفكر والإصغاء إلى واعظ القلب وهو في قلب كل مؤمن كما قال ﷺ : «**وَالدَّاعِي مِنِ فَوْقَ الصِّرَاطِ: وَاعِظُ اللهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ**»(١)، فهذا الواعظ في قلوب المؤمنين هو الإلهام الإلهي بواسطة الملائكة ، فهو من لمة الملك وعليه من الله دليل ويوضح هذا حديث ابن مسعود : عند الترمذي والنسائي وابن حبان في "صحيحه" : قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**إِنَّ لِلشَّيْطَانِ لَمَّةً بِابْنِ آدَمَ وَلِلْمَلَكِ لَمَّةً فَأَمَّا لَمَّةُ الشَّيْطَانِ فَإِيعَادٌ بِالشَّرِّ وَتَكْذِيبٌ بِالحَقِّ، وَأَمَّا لَمَّةُ المَلَكِ فَإِيعَادٌ بِالخَيْرِ وَتَصْدِيقٌ بِالحَقِّ، فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ مِنَ اللَّهِ فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ الأُخْرَى فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**»، **ثُمَّ قَرَأَ ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالفَحْشَاءِ﴾[البقرة: ٢٦٨] الآيَةَ** (٢).

وانظر وتأمل في كلام ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث يقول : ومن أعظم أدوية الباطن إعمال الفكر في قبح هذه الحال والإصغاء إلى سماع العظة من واعظ القلب ؛ فإنه من لم يكن له من قلبه واعظ لم تنفعه المواعظ ومن الناس من يسمع موعظة فيرعوى ومنهم من يرى غيره فينتهي ومنهم من يرى طاقة شيب فينزع (٣)، ويقول: تأملت في شهوات الدنيا فرأيتها مصائد و هلاك و فخوخ تلف فمن قوي عقله على طبعه و حكم عليه سلم

---

(١)أخرجه أحمد (١٨٣/٤). عَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه وصححه العلامة الألباني : في "صحيح الترغيب"(٢٣٤٨) و"المشكاة" (١٩١) .

(٢)قال ابن كثير: حسن صحيح ، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في "صحيح موارد الظمآن" (٣٨).

(٣) "ذم الهوى" (ص٦٦٥) .

و من غلب طبعه فيا سرعة هلكته .

ولقد رأيت بعض أبناء الدنيا كان يتوق إلى التسري ثم يستعمل الحرارات المهيجة للباءة فما لبث أن انحلت حرارته الغريزية و تلف و لم أر في شهوات النفس أسرع هلاكًا من هذه الشهوة ؛ فإنه كلما مال الإنسان إلى شخص مستحسن أوجب ذلك حركة الباءة زائدًا عن العادة.

وإذا رأى أحسن منه زادت الحركة وكثر خروج المني زائدا عن الأول فيفنى جوهر الحياة أسرع شيء...و الدنيا مفازة فينبغي أن يكون السابق فيها العقل فمن سلم زمام راحلته إلى طبعه و هواه فيا عجلة تلفه ـ هذا فيما يتعلق بالبدن و الدنيا ـ فقس عليه أمر الآخرة فافهم.[1]

التفكر في أن لذة المعصية لا تدوم سوى لحظات

ومنها التفكر في أن لذة المعصية لا تدوم سوى لحظات وأن ألم الندم والحسرة والعذاب دائم لا ينقطع فلذة المعصية إنما هي سحابة صيف أو خيال طيف .

أَحْـــلَامُ نَـــوْمٍ أَوْ كَظِـــلٍّ زَائِـــلٍ إِنَّ اللَّبِيـــبَ بِمِثْلِهَـــا لَا يُخْـــدَعُ

فهب أنك شعرت بمتعة أو لذة ، يوما أو يومين ، أو شهرا أو سنة .. فماذا بعد ؟

موت .. ثم قبر .. ثم حساب ، فعقاب ... ذهبت اللذات وبقيت الحسرات .

❁ قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : من عاين بعين بصيرته تناهي الأمور في بداياتها، نال خيرها، و نجا من شرها. و من لم ير العواقب غلب عليه الحسن، فعاد عليه بالألم ما طلب منه السلامة، و بالنصب ما رجا منه الراحة بيان هذا في المستقبل، يتبين بذكر الماضي، و هو أنك لا تخلو، أن تكون عصيت الله في عمرك، أو أطعته ، فأين لذة معصيتك؟ و أين

---

(١) "صيد الخاطر" (ص٦٧ -٦٨) .

تعب طاعتك؟ هيهات رحل كل بما فيه! فليت الذنوب إذ تخلت خلت!

وأزيدك في هذا بيانًا مثل ساعة الموت، و انظر إلى مرارة الحسرات على التفريط، و لا أقول كيف تغلب حلاوة اللذات ؛ لأن حلاوة اللذات استحالت حنظلا، فبقيت مرارة الأسى بلا مقاوم، أتراك ما علمت أن الأمر بعواقبه؟ فراقب العواقب تسلم، و لا تمل مع هوى الحسن فتندم.[١]

❁ وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : **فَمَرَارَاتُ الْمُبَادِي حَلَاوَاتٌ فِي الْعَوَاقِبِ، وَحَلَاوَاتُ الْمُبَادِي مَرَارَاتٌ فِي الْعَوَاقِبِ**.[٢]

❁ ويقول أيضا : وَإِذَا تَأَمّلْتَ مَرَاتِبَ الْكَمَالِ الْمُكْتَسَبِ فِي الْعَالَمِ رَأَيْتَهَا كُلّهَا مَنُوطَةً بِالصّبْرِ وَإِذَا تَأَمّلْتَ النّقْصَانَ الّذِي يُذَمّ صَاحِبُهُ عَلَيْهِ وَيَدْخُلُ تَحْتَ قُدْرَتِهِ رَأَيْتَهُ كُلّهُ مِنْ عَدَمِ الصّبْرِ فَالشّجَاعَةُ وَالْعِفّةُ وَالْجُودُ وَالْإِيثَارُ كُلّهُ صَبْرُ سَاعَةٍ.[٣]

❁ وقال وهو يتحدث عن قوم لوط: ذهبت اللذات، وأعقبت الحسرات، وانقضت الشهوات، وأورثت الشقوات، وتمتعوا قليلاً، وعُذبوا طويلاً، رتعوا مرتعًا وخيماً، فأعقبهم عذابًا أليماً، أسكرتهم خمرة تلك الشهوات، فما استفاقوا منها إلا في ديار المعذَّبين، وأرقدتهم تلك الغفلة فما استيقظوا منها إلا وهم في منازل الهالكين، فندموا والله أشد الندامة حين لا ينفع الندم، وبكوا على ما أسلفوه بدل الدموع بالدم، فلو رأيت الأعلى والأسفل من هذه الطائفة والنار تخرج من منافذ وجوههم وأبدانهم وهم بين إطباق الجحيم وهم يشربون بدل لذيذ الشراب كؤوس الحميم، ويقال لهم وهم على وجوههم يسحبون: ﴿ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [الزمر: ٢٤] ، ﴿ **اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ**

---

(١) "صيد الخاطر" (ص١٥).

(٢) "زاد المعاد" (٥٠١/٣).

(٣) المصدر السابق (٣٠٤/٤).

﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور: ١٦]. (١)

فالمسلم العاقل بحاجة ماسة الى أن يقارن بين أثر الشهوة العاجلة التي يجنيها حين يستجيب للحرام ، وما يتبع هذه الشهوة من زوال لذتها، وبقاء الحسرة والألم .

وبين أثر الصبر ومجاهدة النفس ، ومعرفة أن لذة الانتصار على الشهوة والنفس أعظم من لذة التمتع بالحرام .

فكن دائما على مقارنه بين ما تجده من لذة أثناء هذه الفاحشة ، وما يعقب ذلك من ندم وقلق وحيرة تدوم معك طويلًا ، ثم ما ينتظر فاعل هذه من العذاب.

ولتعلم أن الحياة الدنيا كلها قصيرة ، وأقصر منها ما فيها من لذة محرمة ولحظات يعصي فيها الإنسانُ ربَّه سبحانه وتعالى.

ولتعلم أن الله تعالى قد يقدِّر عليكَ الموتَ وأنت على خلوة بها، فكيف ستلقى ربك تعالى وأنت على هذه الحال ؟ وماذا خلَّفتَ وراءك من فضيحة وعار ؟ فاللّٰهُمَّ اهدنا بهداك .

التفكر في أن الجزاء من جنس العمل

ومن العواصم التفكر في أن الجزاء من جنس العمل فما يفعله بأعراض الناس يمكن أن يفعل بعرضه هو فلتعلم أن الله عز وجل قد يعاقبك بابنتك أو أختك ، فأنت رضيتَ أن تلوِّث عرض غيرك فليس لك إلا أن تنتظر عقوبة الله تعالى في الدنيا قبل الآخرة .

والمسلم الصالح يحفظ الله تعالى أهله وذريته بصلاحه ، والفاسد لا يجلب لأهله وأبنائه وبناته إلا الفساد ، وكيف لا وهو قدوتهم السيئة في أفعاله ، فالزاني ربما يعاقب بمن يفعل ذلك بأهله .

---

(١) "الجواب الكافي"(ص ٢٤٠ - ٢٤٥) مختصراً.

فتذكر على الدوام أن الجزاء من جنس العمل، وكما تدين تدان، ومن لطيف ما ينسب إلى الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قوله:

عفّوا تعف نساؤكم في المحرم ... وتجنبوا ما لا يليق بمسلم

من يزنِ في قوم بألفَي درهم ... في أهله يزنى بربع الدرهم

إن الزنا دين فإن أقرضته ... كان الوفا من أهل بيتك فاعلم

من يزْنِ يُزْنَ به ولو بجداره ... إن كنت يا هذا لبيبا فافهم

الله أسأل أن يرزقنا الفهم والعافية.

إتيان الرجل امرأته إذا وقع في قلبه شهوة النساء

ومن العواصم إتيان الرجل امرأته إذا وقع في قلبه شهوة النساء ؛ فقد أخرج أحمد و الطبراني في "الأوسط" من حديث أبي كبشة الأنماري أن رسول الله ﷺ **قال : « مَرَّتْ بِي فُلَانَةُ، فَوَقَعَ فِي قَلْبِي شَهْوَةُ النِّسَاءِ، فَأَتَيْتُ بَعْضَ أَزْوَاجِي فَأَصَبْتُهَا، فَكَذَلِكَ فَافْعَلُوا، فَإِنَّهُ مِنْ أَمَاثِلِ أَعْمَالِكُمْ إِتْيَانُ الْحَلَالِ»** يعني :النساء.(١)

وأخرج الامام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى امْرَأَةً فَأَتَى امْرَأَتَهُ زَيْنَبَ وَهْيَ تَمْعَسُ مَنِيئَةً لَهَا فَقَضَى حَاجَتَهُ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ : «**إِنَّ الْمَرْأَةَ تُقْبِلُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ وَتُدْبِرُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ فَإِذَا أَبْصَرَ أَحَدُكُمُ امْرَأَةً فَلْيَأْتِ أَهْلَهُ فَإِنَّ ذَلِكَ يَرُدُّ مَا فِي نَفْسِهِ** ».(٢)

❁ يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ففي هذا الحديث عدة فوائد :

منها : الإرشاد إلى التسلي عن المطلوب بجنسه ؛ كما يقوم الطعام مكان الطعام والثوب

---

(١) حسنه العلامة الألباني رحمه الله في "السلسلة الصحيحة"(٤١٧/١).

(٢) مسلم(١٤٠٣) .

مقام الثوب .

ومنها : الأمر بمداواة الإعجاب بالمرأة المورث لشهوتها بأنفع الأدوية ، وهو قضاء وطره من أهله ،وذلك ينقض شهوته لها.(١)

وفي حديث عبد الله **بْنِ** مَسْعُودٍ قَالَ: رَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ امْرَأَةً فَأَعْجَبَتْهُ فَأَتَى سَوْدَةَ وَهِيَ تَصْنَعُ طِيبًا وَعِنْدَهَا نِسَاءٌ فَأَخْلَيْنَهُ فَقَضَى حَاجَتَهُ ثُمَّ قَالَ: «**أَيُّمَا رَجُلٍ رَأَى امْرَأَةً تُعْجِبُهُ فَلْيَقُمْ إِلَى أَهْلِهِ فَإِنَّ مَعَهَا مثل الَّذِي مَعهَا**» ، رَوَاهُ الدَّارِمِيّ.(٢)

تذكر أن لكل معصية عقوبة

ومن العواصم تذكر أن لكل معصية عقوبة وأنها توجب ألمًا وشقاء، إما في الدنيا وإما في الآخرة ، كما في قوله تعالى:﴿**مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ**﴾ [النساء: ١٢٣] فالجزاء يلحق فاعل السوء أيًا كان، دون محايدة ولا تمييز ولا تخلف. كما قال تعالى زاجرًا عباده : ﴿ **فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦ** ﴾ [العنكبوت: ٤٠] وكلام الله حق لا شك فيه :﴿**وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ**﴾ [الروم: ٦]

إن الافتتان بالشهوات المحرمة والولع بها يورث أنواعًا من العقوبات والمفاسد في الدنيا والآخرة.

❁ وأشار ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى تنوع هذه العقوبات فقال: اعْلَمْ أَنَّ الْعُقُوبَةَ تَخْتَلِفُ فَتَارَةً تَتَعَجَّلُ وَتَارَةً تَتَأَخَّرُ وَتَارَةً يَظْهَرُ أَثَرُهَا وَتَارَةً يَخْفَى .

---

(١) "الداء والدواء" (ص٢٨١) .

(٢) انظر "الصحيحة" (٢٣٥) .

وأطرف الْعُقُوبَات مَالا يُحِسُّ بِهَا الْمُعَاقَبُ وَأَشَدُّهَا الْعُقُوبَةُ بِسَلْبِ الإِيمَانِ وَالْمَعْرِفَةِ وَدُونَ ذَلِكَ مَوْتُ الْقُلُوبِ وَمَحْوُ لَذَّةِ الْمُنَاجَاةِ مِنْهُ وَقُوَّةُ الْحِرْصِ عَلَى الذَّنْبِ وَنِسْيَانُ الْقُرْآنِ وَإِهْمَالِ الاسْتِغْفَارِ وَنَحْوُ ذَلِكَ مِمَّا ضَرَرُهُ فِي الدِّينِ.

وَرُبَّمَا دَبَّتِ الْعُقُوبَةُ فِي الْبَاطِنِ دَبِيب الظلمَة إِلَى أَن يمتلىء أُفُقُ الْقَلْبِ فَتَعْمَى الْبَصِيرَةُ.

وَأَهْوَنُ الْعقُوبَة ماكان وَاقِعًا بِالْبَدَنِ فِي الدُّنْيَا وَرُبَّمَا كَانَتْ عُقُوبَةُ النَّظَرِ فِي الْبَصَرِ فَمَنْ عَرَفَ لِنَفْسِهِ مِنَ الذُّنُوبِ مَا يُوجِبُ الْعِقَابَ فَلْيُبَادِرْ نُزُولَ الْعُقُوبَةِ بِالتَّوْبَةِ الصَّادِقَةِ عَسَاهُ يَرُدُّ مَا يُرَدُّ.[١]

❁ وتحدث شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن عقوبات الشهوة المحرمة، فكان مما قاله:

فأما من استعبد قلبه صورة محرمة: امرأة أو صبي، فهذا هو العذاب الذي لا يَدان فيه، وهؤلاء من أعظم الناس عذابًا وأقلهم ثواباً؛ فإن العاشق لصورة إذا بقي قلبه متعلقًا بها، مستعبَدًا لها، اجتمع له من أنواع الشر والفساد ما لا يحصيه إلا رب العباد.

ومن أعظم هذا البلاء إعراض القلب عن الله؛ فإن القلب إذا ذاق طعم عبادة الله والإخلاص له، لم يكن عنده شيء قط أحلى من ذلك، ولا ألذ ولا أطيب .اهـ[٢]

❁ وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ينبغي لكل ذي لب وفطنة أن يحذر عواقب المعاصي ؛ فإنه ليس بين الآدمي وبين الله تعالى قرابة ولا رحم، وإنما هو قائم بالقسط، حاكم بالعدل وإن كان حلمه يسع الذنوب، إلا أنه إذا شاء عفا عفى ففى[٣] كل كثيف من الذنوب، وإذا شاء أخذ وأخذ باليسير، فالحذر الحذر.

---

(١) "ذم الهوى" (ص٢١٧).

(٢) "مجموع الفتاوى" (١٨٧/١٠).

(٣)عفى: محا وأزال .

ولقد رأيت أقوامًا من المترفين كانوا يتقلبون في الظلم والمعاصي الباطنة والظاهرة، فتعبوا من حيث لم يحتسبوا. فقلعت أصولهم. ونقض ما بنوا من قواعد أحكموها لذراريهم ، وما كان ذلك إلا أنهم أهملوا جانب الحق عز وجل، وظنوا أن ما يفعلونه من خير يقاوم ما يجري من شر، فمالت سفينة ظنونهم ، فدخلها من ماء الكيد ما أغرقهم.

ورأيت أقوامًا من المنتسبين إلى العلم أهملوا نظر الحق عز وجل إليهم في الخلوات. فمحا محاسن ذكرهم في الجلوات[١] فكانوا موجودين كالمعدومين، لا حلاوة لرؤيتهم، ولا قلب يحن إلى لقائهم.

فالله الله في مراقبة الحق عز وجل. فإن ميزان عدله تبين فيه الذرة، وجزاؤه مرصد للمخطىء ولو بعد حين.

وربما ظن أنه العفو - وإنما هو إمهال - وللذنوب عواقب سيئة.

فالله الله الخلوات الخلوات.

البواطن البواطن ، النيات النيات.

فإن عليكم من الله عينًا ناظرة.

وإياكم والاغترار بحلمه وكرمه، فكم قد استدرج !

وكونوا على مراقبة الخطايا مجتهدين في محوها.

وما شيء ينفع كالتضرع مع الحمية عن الخطايا.[٢]

وهذا فصل إذا تأمله المعامل لله تعالى نفعه.

ولقد قال بعض المراقبين لله تعالى: قدرت على لذة هي غاية وليست بكبيرة. فنازعتني نفسي إليه، اعتمادًا على صغرها، وعظم فضل الله تعالى وكرمه ، فقلت لنفسي: إن غلبت

---

(١) الجلوات: عكس الخلوات .

(٢) فلعله: أي فلعله ينفع .

هذه فأنت أنت، وإذا أتيت هذه فمن أنت ؟.وذكرتها حالة أقوام كانوا يفسحون لأنفسهم في مسامحة كيف انطوت أذكارهم، وتمكن الإعراض عنهم، فارعوت ورجعت عما همت به ، والله الموفق.(١)

رزقنا الله اليقظة بمنه وكرمه.

تذكر أن المعاصي مستقبحه طبعا

ومن العواصم تذكر أن المعاصي مستقبحه طبعا يرفضها كل عقل سليم ولو لم يكن مسلمًا .

❁ حُكِيَ عَنْ بَعْض السَّلَف أنه قال: رَأَيْت الْمَعَاصِيَ مَذَلَّة ، فَتَرَكْتهَا مُرُوءَة ، فَصَارَتْ دِيَانَة .(٢)

❁ قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : وَمِنْ عُقُوبَاتِهَا: أَنَّهَا تَسْلُبُ صَاحِبَهَا أَسْمَاءَ الْمَدْحِ وَالشَّرَفِ، وَتَكْسُوهُ أَسْمَاءَ الذَّمِّ وَالصَّغَارِ، فَتَسْلُبُهُ اسْمَ الْمُؤْمِنِ، وَالْبَرِّ، وَالْمُحْسِنِ، وَالْمُتَّقِي، وَالْمُطِيعِ، وَالْمُنِيبِ، وَالْوَلِيِّ، وَالْوَرِعِ، وَالصَّالِحِ، وَالْعَابِدِ، وَالْخَائِفِ، وَالْأَوَّابِ، وَالطَّيِّبِ، وَالْمَرْضِيِّ وَنَحْوِهَا.

وَتَكْسُوهُ اسْمَ الْفَاجِرِ، وَالْعَاصِي، وَالْمُخَالِفِ، وَالْمُسِيءِ، وَالْمُفْسِدِ، وَالْخَبِيثِ، وَالْمَسْخُوطِ، وَالزَّانِي، وَالسَّارِقِ، وَالْقَاتِلِ، وَالْكَاذِبِ، وَالْخَائِنِ، وَاللُّوطِيِّ، وَقَاطِعِ الرَّحِمِ، وَالْغَادِرِ وَأَمْثَالِهَا ، فَهَذِهِ أَسْمَاءُ الْفُسُوقِ وَ ﴿**بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ**﴾ [سُورَةُ الْحُجُرَاتِ: ١١] الَّذِي يُوجِبُ غَضَبَ الدَّيَّانِ، وَدُخُولَ النِّيرَانِ، وَعَيْشَ الْخِزْيِ وَالْهَوَانِ.

وَتِلْكَ أَسْمَاءٌ تُوجِبُ رِضَاءَ الرَّحْمَنِ، وَدُخُولَ الْجِنَانِ، وَتُوجِبُ شَرَفَ الْمُسَمَّى بِهَا عَلَى

---

(١) "صيد الخاطر" (ص١٤٦) .

(٢) "فتح الباري" (٧٥/١) .

سَائِرِ أَنْوَاعِ الْإِنْسَانِ، فَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي عُقُوبَةِ الْمَعْصِيَةِ إِلَّا اسْتِحْقَاقُ تِلْكَ الْأَسْمَاءِ وَمُوجِبَاتِهَا لَكَانَ فِي الْعَقْلِ نَاهٍ عَنْهَا، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي ثَوَابِ الطَّاعَةِ إِلَّا الْفَوْزُ بِتِلْكَ الْأَسْمَاءِ وَمُوجِبَاتِهَا لَكَانَ فِي الْعَقْلِ آمِرٌ بِهَا، وَلَكِنْ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَى اللَّهُ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعَ، وَلَا مُقَرِّبَ لِمَا بَاعَدَ، وَلَا مُبْعِدَ لِمَنْ قَرَّبَ، ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [سُورَةُ الْحَجِّ: ١٨][(١)].

تذكر أنه قد يحال بينك وبين التوبة من هذه المعصية

ومن العواصم تذكر أنه قد يحال بينك وبين التوبة من هذه المعصية جزاء التسويف والتأخير، وما يدريك فمن خالفت أمره وارتكبت نهيه قد يرصد لك في وقت غفلة، وقد يحول بينك وبين العودة اليه كما قال تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤] أي: أن الله سبحانه وتعالى يحول بين المرء وقلبه فيريد الإنسان التوبة ويعزم على ذلك وإذا به ينتقض عزمه ويتغير اتجاهه فيكون الله تعالى حائلًا بين المرء وقلبه وفي هذا تحذيرٌ للعباد من أن يحول الله تعالى بين العبد وقلبه فيزل ويهلك فعلى المرء أن يراقب قلبه دائمًا وينظر ما هو عليه ويفكر في شأنه حتى لا يزل ويهلك ، فربما نزل عليكَ الموتَ وأنت على ممارسة لمعصية من المعاصي وحيل بينك وبين التوبة منها فكيف ستلقى ربك تعالى وأنت على هذه الحال ؟ نسأل الله السلامة.

تذكر أن القابض على دينه في هذا الزمان كالقابض على الجمر

ومن العواصم تذكر أن القابض على دينه في هذا الزمان كالقابض على الجمر كما في حديث أنس عند الترمذي قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ الصَّابِرُ فِيهِمْ**

---

(١) "الجواب الكافي" (ص٨١).

عَلَى دِينِهِ كَالقَابِضِ عَلَى الجَمْرِ»[١] وتذكر قوله ﷺ «طُوبَى لِلْغُرَبَاءِ» قِيلَ: وَمَنِ الْغُرَبَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «نَاسٌ صَالِحُونَ قَلِيلٌ فِي نَاسِ سُوءٍ كَثِيرٍ، مَنْ يَعْصِيهِمْ أَكْثَرُ مِمَّنْ يُطِيعُهُمْ»[٢] وقوله ﷺ : «إِنَّ مِنْ بَعْدِكُمْ أَيَّامًا الصَّابِرُ فِيهَا الْمُتَمَسِّكُ بِمِثْلِ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ الْيَوْمَ لَهُ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ» ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مِنْهُمْ؟ قَالَ: «بَلْ مِنْكُمْ»[٣] وقوله ﷺ «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ، فَيَقُولَ: يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ، مَا بِهِ حُبُّ لِقَاءِ اللهِ » وورد بلفظ :«يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَكَانَ صَاحِبِ هَذَا الْقَبْرِ، وَلَيْسَ بِهِ الدِّينُ إِلَّا الْبَلَاءُ».[٤]

وقوله ﷺ : «إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنِ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنُ، وَلَمَنْ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ فَوَاهًا».[٥]

تذكر دائما أن لك قرينًا كافر ملازم يزين لك المعصية

ومن العواصم تذكر دائما أن لك قرينًا كافرًا ملازمًا يزين لك المعصية ويجملها في عينك فمن المعلوم أن مع كلِّ أحدٍ من الناس قرين كافر، وهو الذي يدفع صاحبه للشر والمعصية ، باستثناء النبي ﷺ كما روى مسلم عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ» قَالُوا: وَإِيَّاكَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «وَإِيَّايَ، إِلَّا أَنَّ اللهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ، فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ» وفي رواية :«وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ

---

(١) الحديث صحيح ، فإن له شواهد كثيرة قاله العلامة الألباني يرحمه الله في "السلسلة الصحيحة" (٦٨٢/٢) برقم(٩٥٧) .

(٢) رواه ابن المبارك رحمه الله في "الزهد" ، وصححه العلامة الألباني رحمه الله : في "الصحيحة" (١٦١٩) .

(٣) صححها العلامة الألباني رحمه الله في "سلسلة الأحاديث الصحيحة" برقم (٤٩٤) .

(٤) بهذا اللفظ : صححها العلامة الألباني رحمه الله في "سلسلة الأحاديث الصحيحة" برقم (٥٧٨) .

(٥) رواه أبو داود وصححها لعلامة الألباني رحمه الله في "سلسلة الأحاديث الصحيحة" برقم (٩٧٥) وحسنه شيخنا مقبل رحمه الله في "الصحيح المسند" (١١٤٠) .

قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ وَقَرِينُهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ».(١)

❁ قال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرحه على مسلم(٢):وَفِي هَذَا الْحَدِيث : إِشَارَة إِلَى التَّحْذِير مِنْ فِتْنَة الْقَرِين وَوَسْوَسَته وَإِغْوَائِهِ ، فَأَعْلَمَنَا بِأَنَّهُ مَعَنَا لِنَحْتَرِز مِنْهُ بِحَسَبِ الْإِمْكَان. اهـ

وقال الله مبينا ذلك :﴿ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ ق: ٢٧ – ٢٩

❁ قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ﴿**قَالَ قَرِينُهُ**﴾ [ق:٢٧] ، قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ومجاهد وقتادة وغيرهم : هو الشيطان الذي وُكِّل به .

﴿**رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ**﴾ [ق:٢٧] أي : يقول عن الإنسان الذي قد وافى القيامةَ كافرًا يتبرأ منه شيطانه ، فيقول : ﴿**رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ**﴾ [ق:٢٧] أي : ما أضللتُه .

﴿**وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ**﴾ [ق:٢٧] أي : بل كان هو في نفسه ضالًا قابلًا للباطل معاندًا للحقِّ كما أخبر سبحانه وتعالى في الآية الأخرى في قوله :﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [ابراهيم٢٢].

وقوله تبارك وتعالى : ﴿ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ ﴾ [ق: ٢٨] يقول الرب عز وجل للإنسي وقرينِه من الجن وذلك أنهما يختصمان بين يدي الحق تعالى فيقول الإنسي : يا رب هذا أضلَّني عن الذِّكر بعد إذ جاءني ، ويقول الشيطان : ﴿ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ

---

(١) مسلم (٢٨١٤) .

(٢) (١٥٦/١٧) .

بَعِيدٍ ﴾ [ق: ٢٧] أي : عن منهج الحق .فيقول الرب عز وجل لهما : ﴿ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ ﴾ أي: عندي ، ﴿ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ﴾ [ق: ٢٨] أي : قد أعذرت إليكم على ألسنة الرسل ، وأنزلت الكتب ، وقامت عليكم الحجج والبينات والبراهين :﴿ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ [ق: ٢٩] قال مجاهد : يعني : قد قضيتُ ما أنا قاض : ﴿ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ [ق: ٢٩] أي : لست أعذِّب أحدًا بذنب أحدٍ ، ولكن لا أعذِّب أحدًا إلا بذنبه بعد قيام الحجة عليه(١).

كثرة الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم كلما هممت بمعصية

ومن العواصم كثرة الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم كلما هممت بمعصية لأن الشيطان أصل كل كفر و فسوق و عصيان فهو أصل الشر كله فمتى و قي الإنسان شره و قي شر الدنيا والآخرة قال تعالى : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [فصلت: ٣٦] وفي موضع آخر : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأعراف: ٢٠٠] .

❁ قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ : وتأمل حكمة القرآن الكريم وجلالته كيف أوقع الإستعاذة من شر الشيطان الموصوف بأنه الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس ولم يقل من شر وسوسته لتعم الإستعاذة شره جميعه فإن قوله : ﴿ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴾ [الناس: ٤] يعم كل شره ووصفه بأعظم صفاته وأشدها شرا وأقواها تأثيرا وأعمها فسادا وهي الوسوسة التي هي مبادئ الإرادة فإن القلب يكون فارغا من الشر والمعصية فيوسوس إليه ويخطر الذنب بباله فيصوره لنفسه ويمنيه ويشهيه فيصير شهوة ويزينها له ويحسنها ويخيلها له في خيال تميل نفسه إليه فيصير إرادة ثم لا يزال يمثل ويخيل ويمني

---

(١) "تفسير ابن كثير"(٤ / ٢٢٧) .

ويشهي وينسى علمه بضررها ويطوي عنه سوء عاقبتها فيحول بينه وبين مطالعته فلا يرى إلا صورة المعصية والتذاذه بها فقط وينسى ما وراء ذلك فتصبر الإرادة عزيمة جازمة فيشتد الحرص عليها من القلب فيبعث الجنود في الطلب فيبعث الشيطان معهم مدادا لهم وعونا فإن فتروا حركهم وإن ونوا أزعجهم كما قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ [مريم: ٨٣] أي : تزعجهم إلى المعاصي إزعاجا كلما فتروا أو ونوا أزعجتهم الشياطين وأزتهم وأثارتهم فلا تزال بالعبد تقوده إلى الذنب وتنظم شمل الاجتماع بألطف حيلة وأتم مكيدة... فأصل كل معصية وبلاء إنما هو الوسوسة فلهذا وصفه بها لتكون الإستعاذة من شرها أهم من كل مستعاذ منه وإلا فشره بغير الوسوسة حاصل أيضا.(١)

❁ وقال أيضا: ولما كان الشيطان على نوعين : نوع يرى عيانًا وهو شيطان الإنس، ونوع لا يرى وهو شيطان الجن، أمر سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أن يكتفي من شر شيطان الإنس بالإعراض عنه والعفو والدفع بالتي هي أحسن، ومن شيطان الجن بالاستعاذة بالله منه . اهـ(٢)

❁ وقال شيخنا المجاهد محمد بن عبد الله الإمام حفظه الله : لا يظن ظان أن وسوسة الشيطان أمرها سهل لا والله بل هي منبع كل فساد وضرر بالعباد.(٣)

وأحسن ما يستعاذ به قراءة المعوذتين مع استحضار المعاني والتوفيق بيد الله وحده لا إله غيره ولا رب سواه.

---

(١) "بدائع الفوائد" (٢/٤٨١-٤٨٢) .

(٢) "زاد المعاد"(٢/٤٣٠) .

(٣) "إنقاذ المسلمين من وسوسة الجن والشياطين" (٢٥) .

تذكر أن لك نفسًا أمارة بالسوء موسوسة به داعية إليه

ومن العواصم تذكر أن لك نفسًا أمارة بالسوء موسوسة به داعية إليه قال الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ [ق: ١٦] .

۞ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : الوسواس أصل كل كفر و فسوق و عصيان فهو أصل الشر كله فمتى و قي الإنسان شره و قي عذاب جهنم و عذاب القبر و فتنة المحيا و الممات و فتنة المسيح الدجال فإن جميع هذه إنما تحصل بطريق الوسواس.(١)

۞ وقال أيضا : الوسواس أصل كل شر يضرهم لأنه مبدأ للكفر و الفسوق و العصيان.(٢)

ومن جملة الوسوسة الوسوسة بالسوء وما يغضب الله كما قال تعالى مخبرًا عن امرأة العزيز : ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ﴾ [يوسف: ٥٣]

أي : تأمر صاحبها بما تهواه : من شهوات الغي واتباع الباطل فهي مأوى كل سوء وإن أطاعها قادته إلى كل قبيح وكل مكروه وقد أخبر سبحانه أنها أمارة بالسوء ولم يقل آمرة لكثرة ذلك منها وأنه عادتها ودأبها إلا إذا رحمها الله وجعلها زاكية تأمر صاحبها بالخير فذلك من رحمة الله لا منها فإنها بذاتها أمارة بالسوء ؛ لأنها خلقت في الأصل جاهلة ظالمة(٣) ومن الأبيات الجيدة في هذ الباب المطابقة لأحوال النفس قول الناظم:

إِذَا الْمَـرْءُ أَعْطَـى نَفْسَـهُ كُلَّمَـا ... وَلَـمْ يَنْهَهَـا تَاقَـتْ إِلَى كُلِّ بَاطِـلِ

---

(١) "مجموع الفتاوى" (٥١٨/١٧) .

(٢) "مجموع الفتاوى" (٥١٤/١٧) .

(٣) من كلام لابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "إغاثة اللهفان" (٧٧/١) .

وَسَاقَتْ إِلَيْهِ الإِثْمَ وَالْعَارَ لِلَّذِي دَعَتْهُ إِلَيْهِ مِنْ حَلاوَةِ عَاجِلِ [١]

فنعوذ بالله من شرور أنفسنا.

تذكر أن النفس بطبيعتها تؤثر الشهوات واللذات الحاضرة

ومن العواصم تذكر أن النفس بطبيعتها تؤثر الشهوات واللذات الحاضرة وأنها ميالة إلى الدعة وترغب في البطالة وتنجرف مع الهوى وتستهويها الشهوات العاجلة مع الميل الفطري العميق بين الرجل والمرأة فإذا عرفت أن هذا هو طبيعت نفسك فتهيأ لمجاهدتها وعدم تحكمها بك فالنفس تحتاج إلى تربية وعناية وصبر وجهاد دائم كما يقول الشاعر:

وَمَا النَّفس إِلَّا حَيْثُ يَجْعَلهَا الْفَتى فَإِن أُعْطَيْت تاقت وَإِلَّا تسلت

وكما قال أبو ذؤيب

والنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغَّبْتَهَا وإِذَا تُرَدُّ إِلى قَلِيلٍ تَقْنَعُ [٢]

وقال الآخر:

والنفسُ كالطّفلِ إن تهملهُ شبّ على حبِّ الرَّضاعِ وإن تفطِمْهُ ينفَطِمِ

وَلِأَبِي إِسْحَاقَ الشِّيرَازِيِّ فِي مِثْلِ ذَلِكَ:

إِذَا حَدَّثَتْك النَّفْسُ يَوْمًا بِشَهْوَةٍ وَكَانَ عَلَيْهَا لِلْخِلَافِ طَرِيقُ

فَخَالِفْ هَوَاهَا مَا اسْتَطَعْت فَإِنَّمَا هَوَاهَا عَدُوٌّ وَالْخِلَافُ صَدِيقُ

وقال الآخر:

فخالف هواها واعصها فمن يطع هوى نفسه تنزع به شر منزع

---

(١) "مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي" (٥/١٠).

(٢) "ديوان الهذليين" (١/ ٣)؛ وهو البيت (١٣) من قصيدته في آخر المفضليات (٤٢٢)، ونقل المحققان عن ابن قتيبة في الشعراء: (١٠) عن الأصمعي قوله: «هذا أبدع بيت قالته العرب.

ومن يطع النفس اللجــوجة تُرْدِه وترم به في مصرع أي مصرع

تذكر أن مرارة الصبر عن المعصية لا تدوم سوى لحظات

ومن العواصم تذكر أن مرارة الصبر عن المعصية حتى لا تقع فيها وتزل لا تدوم سوى لحظات.

❁ قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : وَإِذَا تَأَمَّلْتَ مَرَاتِبَ الْكَمَالِ الْمُكْتَسَبِ فِي الْعَالَمِ، رَأَيْتَهَا كُلَّهَا مَنُوطَةً بِالصَّبْرِ، وَإِذَا تَأَمَّلْتَ النُّقْصَانَ الَّذِي يُذَمُّ صَاحِبُهُ عَلَيْهِ، وَيَدْخُلُ تَحْتَ قُدْرَتِهِ، رَأَيْتَهُ كُلَّهُ مِنْ عَدَمِ الصَّبْرِ، فَالشَّجَاعَةُ وَالْعِفَّةُ، وَالْجُودُ وَالْإِيثَارُ كُلُّهُ صَبْرُ سَاعَةٍ .اهـ[1]

❁ وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ : الْمَصَالح والخيرات وَاللَّذَّات والكمالات كلهَا لَا تنَال إِلَّا بحظ من الْمَشَقَّة وَلَا يعبر إِلَيْهَا إِلَّا على جسر من التَّعَب وَقد أجمع عقلاء كل أمة على أَن النَّعيم لَا يدْرك بالنعيم وَإِن من آثر الرَّاحَة فَاتَتْهُ الرَّاحَة وَإِن بِحَسب ركُوب الْأَهْوَال واحتمال المشاق تكون الفرحة واللذة فَلَا فرحة لمن لَا هم لَهُ وَلَا لَذَّة لمن لَا صَبر لَهُ وَلَا نعيم لمن لَا شقاء لَهُ وَلَا رَاحَة لمن لَا تَعب لَهُ بل إِذا تَعب العَبْد قَلِيلا استراح طَويلا وَإِذا تحمل مشقة الصَّبْر سَاعَة قَادَهُ لحياة الْأَبَد وكل مَا فِيهِ أهل النَّعيم الْمُقِيم فَهُوَ صَبر سَاعَة وَالله الْمُسْتَعَان وَلَا قُوَّة إِلَّا بِاللَّه وَكلما كَانَت النُّفُوس أشرف والهمة أعلا كَانَ تَعب الْبدن أوفر وحظه من الرَّاحَة أقل كَمَا قَالَ المتنبي:

وَإِذا كَانَــت النُّفُــوس كبــارًا تعبــت فِي مرادهــا الْأَجْسَــام.اهـ[2]

---

(١) "زاد المعاد" (٤/٢٠٤) .

(٢) "مفتاح دار السعادة" (٢/١٥) .

عدم الاستهانة بمحقرات الذنوب.

ومن العواصم عدم الاستهانة بمحقرات الذنوب

وقد قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ فَإِنَّمَا مَثَلُ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ كَقَوْمٍ نَزَلُوا فِي بَطْنِ وَادٍ، فَجَاءَ ذَا بِعُودٍ، وَجَاءَ ذَا بِعُودٍ حَتَّى أَنْضَجُوا خُبْزَتَهُمْ، وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَى يُؤْخَذْ بِهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكْهُ** ».أخرجه أحمد(١)

وقال ابن مسعود : «إِنَّ المُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ فَقَالَ بِهِ هَكَذَا، قَالَ أَبُو شِهَابٍ: بِيَدِهِ فَوْقَ أَنْفِهِ». رواه البخاري(٢)

عدم الانفراد والوحدة.

ومن العواصم عدم الانفراد والوحدة وإنما تختلط مع الأسرة أو غيرهم لأن ذلك أصون للشخص وأبعد عن الشيطان . فتجنب الوحدة مهم للغاية كالمبيت وحيدا وقد جاء في الحديث أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ **نَهَى عَنِ الْوَحْدَةِ، أَنْ يَبِيتَ الرَّجُلُ وَحْدَهُ** . رواه الإمام أحمد.(٣)

فالحرص على البعد عن الوحدة ، أو إغلاق الباب عليك عند النوم أو غيره من العوامل المساعدة على عدم الوقوع في المحرم فالخلوة تساهم في التفكير في المعصية ، وتشجع على فعلها فتجنب الوحدة قدر استطاعتك ؛وإذا وسوس الشيطان لك بمعصية وأنت وحيد فاستعن بالله واخرج مباشرة وسترى أثر هذا الخروج إن شاء الله تعالى ، والله أعلم.

---

(١) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه وصححه العلامة الألباني رحمه الله في "الصحيحة" (٣٨٩) .

(٢)رقم (٢٣٥٨) .

(٣) الحديث عن أبي هريرة وصححه العلامة الألباني في "السلسلة الصحيحة" (١ / ٩٠)(٦٠) .

قراءة كتب أهل العلم المعتبرين المفردة لهذا الغرض

ومن العواصم المهمة في هذا الجانب قراءة كتب أهل العلم المعتبرين المفردة لهذا الغرض أو التي تذكر ذلك ضمنيا مثل : "حادي الأرواح" ، و"طريق الهجرتين" و"مدارج السالكين" و"الفوائد" و"الرسالة التبوكية" و"إغاثة اللهفان" و"الداء والدواء" كلها لابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ، و"التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة" للقرطبي ، و"صيد الخاطر" لابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ومداواة النفوس لابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

فاحرص على إدامة النظر في مثل هذه الكتب الجليلة النافعة وغيرها وهكذا سماع أشرطة الوعظ المؤثرة لتزيد من علمك وإيمانك وتكره إليك الشهوة المحرمة ولا تنس من النظر في تراجم السلف الذين ترجموا ما في تلك الكتب وغيرها إلى ترجمه عملية .

۞ قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : رأيت الاشتغال بالفقه وسماع الحديث لا يكاد يكفي في صلاح القلب، إلا أن يمزج بالرقائق والنظر في سير السلف الصالحين ؛ لأنهم تناولوا مقصود النقل، وخرجوا عن صور الأفعال المأمور بها إلى ذوق معانيها والمراد بها.

وما أخبرتك بهذا إلا بعد معالجة وذوق لأني وجدت جمهور المحدثين وطلاب الحديث همة أحدهم في الحديث العالي وتكثير الأجزاء ، وجمهور الفقهاء في علوم الجدل وما يغالب به الخصم. وكيف يرق القلب مع هذه الأشياء ؟

وقد كان جماعة من السلف يقصدون العبد الصالح للنظر إلى سمته وهديه ، لا لاقتباس علمه ، وذلك أن ثمرة علمه هديه وسمته، فافهم هذا وامزج طلب الفقه والحديث بمطالعة سير السلف والزهاد في الدنيا ليكون سببًا لرقة قلبك.

وقد جمعت لكل واحد من مشاهير الأخيار كتابًا فيه أخباره وآدابه ، فجمعت كتابًا في أخبار الحسن وكتابًا في أخبار سفيان الثوري، وإبراهيم بن أدهم، وبشر الحافي، وأحمد بن حنبل، ومعروف، وغيرهم من العلماء والزهاد، والله الموفق للمقصود.

ولا يصلح العمل مع قلة العلم ، فهما في ضرب المثل كسائق وقائد والنفس بينهما

حرون ومع جد السائق والقائد ينقطع المنزل، ونعوذ بالله من الفتور. اهـ[١]

❁ وقال أيضا : فالصواب العكوف على العلم مع تلذيع النفس بأسباب المرققات تلذيعًا لا يقدح في كمال التشاغل بالعلم.[٢] والله أعلم بالصواب.

تذكر عظمة الله وجلاله

ومن العواصم تذكر عظمة الله وجلاله وكبريائه قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : فَإِنَّ عَظَمَةَ اللَّهِ تَعَالَى وَجَلَالَهُ فِي قَلْبِ الْعَبْدِ تَقْتَضِي تَعْظِيمَ حُرُمَاتِهِ، وَتَعْظِيمُ حُرُمَاتِهِ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الذُّنُوبِ، وَالْمُتَجَرِّئُونَ عَلَى مَعَاصِيهِ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ، وَكَيْفَ يَقْدِرُهُ حَقَّ قَدْرِهِ، أَوْ يُعَظِّمُهُ وَيُكَبِّرُهُ، وَيَرْجُو وَقَارَهُ وَيُجِلُّهُ، مَنْ يَهُونُ عَلَيْهِ أَمْرُهُ وَنَهْيُهُ؟ هَذَا مِنْ أَمْحَلِ الْمُحَالِ، وَأَبَيْنِ الْبَاطِلِ، وَكَفَى بِالْعَاصِي عُقُوبَةً أَنْ يَضْمَحِلَّ مِنْ قَلْبِهِ تَعْظِيمُ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ، وَتَعْظِيمُ حُرُمَاتِهِ، وَيَهُونُ عَلَيْهِ حَقُّهُ.[٣]

❁ وقال بلال بن سعد رَحِمَهُ ٱللَّهُ : **لَا تَنْظُرْ إِلَى صِغَرِ الْخَطِيئَةِ**، وَلَكِنِ انْظُرْ مَنْ عَصَيْتَ.[٤]

❁ قَالَ بِشْرُ بْنُ الْحَارِثِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : لَوْ تَفَكَّرَ النَّاسُ فِي عَظَمَةِ اللهِ لَمَا عَصَوُا اللهَ عز وجل.[٥]

❁ قَالَ رَجُلٌ لِوُهَيْبِ بْنِ الْوَرْدِ: عِظْنِي قَالَ:اتَّقِ أَنْ يَكُونَ اللهُ أَهْوَنَ النَّاظِرِينَ

---

(١) "صيد الخاطر" (ص٢٢٨) .

(٢) "صيد الخاطر" (ص١٤٩) .

(٣) "الداء والدواء" (ص٩٠) ط دار الغد الجديد.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في "الزهد" رقم (٢٣٠٣) والبيهقي في "الشعب" رقم (٧١٥٩) .

(٥) أخرجه : أبو نعيم في "الحلية" (٣٣٧/٨) .

إِلَيْكَ.[١].

❁ ويصف ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عظمة الله بكلام عذب جميل فيقول : يدبر أمر الممالك ويأمر وينهي، ويخلق ويرزق، ويميت ويحي، ويقضي وينفذ ويعز ويذل ويقلب الليل والنهار، ويداول الأيام بين الناس، ويقلب الدول فيذهب بدولة ويأتي بأخرى، والرسل من الملائكة عليهم الصلاة والسلام بين صاعد إليه بالأمر ونازل من عنده به، وأوامره ومراسيمه متعاقبة على تعاقب الآيات، نافذة بحسب إرادته، فما شاء كما شاء في الوقت الذي يشاء على الوجه الذي يشاء، من غير زيادة ولا نقصان ولا تقدم ولا تأخر، وأمره وسلطانه نافذ في السماوات وأقطارها، وفي الأرض وما عليها وما تحتها، وفي البحار والجو، وفي سائر أجزاء العالم وذراته، يقلبها ويصرفها ويحدث فيها ما يشاء، وقد أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً، ووسع كل شيء رحمة وحكمة، ووسع سمعه الأصوات فلا تختلف عليه ولا تشتبه عليه.

بل يسمع ضجيجها باختلاف لغاتها على تفنن حاجاتها ، فلا يشغله سمع عن سمع ، ولا تغلطه كثرة المسائل ، ولا يتبرم بإلحاح الملحين ذوي الحاجات ، وأحاط بصره بجميع المرئيات فيرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ، فالغيب عنده شهادة والسر عنده علانية .. (يسأله من في السماوات والأرض كل يوم هو في شأن) يغفر ذنبًا ، ويفرج همًا ، ويكشف كربًا ، ويجبر كسيراً، ويغني فقيرًا ، ويهدي ضالًا ، ويرشد حيرانًا ، ويغيث لهفانًا ، ويشبع جائعًا ، ويكسو عاريًا ، ويشفي مريضًا ، ويعافي مبتلى ، ويقبل تائبًا ، ويجزي محسنًا ، وينصر مظلومًا ، ويقصم جبارًا ، ويستر عورة ، ويؤمن روعة ، ويرفع أقوامًا ، ويضع آخرين ... لو أن أهل سماواته وأهل أرضه ، وأول خلقه وأخرهم ، وإنسهم وجنهم ، كانوا على أتقى قلب رجل منهم ، ما زاد ذلك في ملكه شيئًا ولو أن أول

---

(١) أخرجه : أبو نعيم في "الحلية" (١٤٢/٨) .

خلقه وأخرهم وإنسهم وجنهم كانوا على أفجر قلب رجل منهم ما نقص ذلك من ملكه شيئًا ، ولو أن أهل سماواته وأهل أرضه ، وأول خلقه وأخرهم ، وإنسهم وجنهم ، وحيهم وميتهم ، ورطبهم ويابسهم ، قاموا على صعيد واحد فسألوه فأعطى كلا منهم ما سأله ، ما نقص ذلك مما عنده مثقال ذرة .. هو الأول الذي ليس قبله شيء ، والآخر الذي ليس دونه شيء ، تبارك وتعالى أحق من ذكر ، وأحق من عبد ، وأولى من شكر ، وارأف من ملك ، وأجود من سئل ... هو الملك الذي لا شريك له ، والفرد فلا ند له، والصمد فلا ولد له ، والعلي فلا شبيه له ، كل شيء هالك إلا وجهه ، وكل شيء زائل إلا ملكه .. لن يطاع إلا بأذنه ، ولن يعصى إلا بعلمه ، يطاع فيشكر ، ويعصى فيغفر، كل نقمة منه عدل ، وكل نعمة منه فضل ، أقرب شهيد ، وأدنى حفيظ ، أخذ بالنواصي، وسجل الآثار ، وكتب الآجال، فالقلوب له مفضية ، والسر عنده علانية ، عطاؤه كلام وعذابه كلام :﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨٢][1]

وهذا باب واسع لو تتبعنا الكلام في تفاصيله لطال الكلام فيه جدا وبالله التوفيق.

الحذر والانتباه من مغالطة النفس

ومن العواصم الحذر والانتباه من مغالطة النفس وقد نبه العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ على هذه الدقيقة فقال : وهذا من أهم الأمور فإن العبد يعرف أن المعصية والغفلة من الأسباب المضرة له في دنياه وآخرته ولابد ، ولكن تغالطه نفسه بالاتكال على عفو الله ومغفرته تارة ، وبالتسويف بالتوبة تارة ، وبالاستغفار باللسان تارة ، وبفعل المندوبات تارة ، وبالعلم تارة ، وبالاحتجاج بالقدر تارة ، وبالاحتجاج بالأشباه والنظائر تارة ، وبالاقتداء بالأكابر تارة أخرى .وكثير من الناس يظن أنه لو فعل ما فعل ، ثم قال : أستغفر

(١) "الوابل الصيب" (ص١٢) بتصرف .

الله ؛ زال أثر الذنب وراح هذا بهذا!!. إلى أخر كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ [١]

شدة الحذر في حالة غفلة النفس وضعف الإيمان

ومن العواصم شدة الحذر في حالة غفلة النفس وضعف الإيمان لأن النفس لها إقبال وإدبار والإيمان يزيد وينقص وقد تستولي على المسلم حالة ضعف فيستسلم لهواه وينقاد لشهواته ويطيع شيطانه فيرد المهالك.

۞ قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : لا ينال لذة المعاصي إلا سكرانًا بالغفلة .فأما المؤمن فإنه لا يلتذ ، لأنه عند التذاذه يقف بإزائه علم التحريم ، و حذر العقوبة .فإن قويت معرفته رأى بعين علمه قرب الناهي ، فيتنغص عيشه في حال التذاذه .فإن غلب سكر الهوى كان القلب متنغصًا بهذه المراقبات ، و إن كان الطبع في شهوته ، و ما هي إلا لحظة ، ثم خذ من غريم ، ندم ملازم ، و بكاء متواصل ، وأسف على ما كان من طول الزمان .حتى إنه لو تيقن العفو و قف بإزائه حذار العتاب فأف للذنوب ما أقبح آثارها و ما أسوأ أخبارها ، و لا كانت شهوة لا تنال إلا بمقدار قوة الغفلة. اهـ

فإذا أحسست من نفسك ضعف الإيمان فليكن الانتباه شديدا وإلا فلا تلومن إلا نفسك والله المستعان.

تذكر أنه لا يمكن أن تكون من أئمة الدين وأنت ضعيف في جانب الشهوات

ومن العواصم تذكر أنه لا يمكن أن تكون من أئمة الدين وأهل العلم الراسخين وأنت ضعيف في جانب الشهوات غير صابر عنها قال الله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً

---

(١) "الداء والدواء" (ص٢٩) .

يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤] ويعرف بعضهم الصبر بأنه: (ثبات باعث الدين إذا اعترته بواعث الشهوات).

❁ قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : وَأَمَّا جِهَادُ الشَّيْطَانِ فَمَرْتَبَتَانِ، إِحْدَاهُمَا: جِهَادُهُ عَلَى دَفْعِ مَا يُلْقِي إِلَى الْعَبْدِ مِنَ الشُّبُهَاتِ وَالشُّكُوكِ الْقَادِحَةِ فِي الْإِيمَانِ.

الثَّانِيَةُ: جِهَادُهُ عَلَى دَفْعِ مَا يُلْقِي إِلَيْهِ مِنَ الْإِرَادَاتِ الْفَاسِدَةِ وَالشَّهَوَاتِ، فَالْجِهَادُ الْأَوَّلُ يَكُونُ بَعْدَهُ الْيَقِينُ، وَالثَّانِي: يَكُونُ بَعْدَهُ الصَّبْرُ. قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤] فَأَخْبَرَ أَنَّ إِمَامَةَ الدِّينِ إِنَّمَا تُنَالُ بِالصَّبْرِ وَالْيَقِينِ، فَالصَّبْرُ يَدْفَعُ الشَّهَوَاتِ وَالْإِرَادَاتِ الْفَاسِدَةَ، وَالْيَقِينُ يَدْفَعُ الشُّكُوكَ وَالشُّبُهَاتِ.(١)

❁ قال العلامة المحقق السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند تفسيره لهذه الآية : وإنما نالوا هذه الدرجة العالية بالصبر على التعلم والتعليم، والدعوة إلى الله، والأذى في سبيله، وكفوا أنفسهم عن جماحها في المعاصي، واسترسالها في الشهوات. اهـ

تذكر أن الدنيا سجن المؤمن

ومنها أن تتذكر أن الدنيا سجن المؤمن وأنه لا بد من حبس النفس عن بعض ما تشتهي مما حرم عليها ولهذا جاء في صحيح مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الْكَافِرِ**».

❁ قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : في "شرحه على مسلم"(٣): معناه أن كل مؤمن مسجون

---

(١) "زاد المعاد" (٩/٣) .

(٢) برقم (٢٩٥٦) .

(٣) (٢٩٤/١٨) .

ممنوع في الدنيا من الشهوات المحرمة والمكروهة مكلف بفعل الطاعات الشاقة فإذا مات استراح من هذا وانقلب إلى ما أعد الله تعالى له من النعيم الدائم والراحة الخالصة من المنغصات وأما الكافر فإنما له من ذلك ما حصل في الدنيا مع قلته وتكديره بالمنغصات فإذا مات صار إلى العذاب الدائم وشقاء الأبد .

الحرص التام على صلاح القلب وتقويته

ومن العواصم الحرص التام على صلاح القلب وتقويته حتى لا يمال بالشهوات قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾[الأحزاب:٣٢].

❁ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : وَهُوَ مَرَضُ الشَّهْوَةِ فَإِنَّ الْقَلْبَ الصَّحِيحَ لَوْ تَعَرَّضَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ لَمْ يَلْتَفِتْ إلَيْهَا بِخِلَافِ الْقَلْبِ الْمَرِيضِ بِالشَّهْوَةِ فَإِنَّهُ لِضَعْفِهِ يَمِيلُ إلَى مَا يَعْرِضُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ بِحَسَبِ قُوَّةِ الْمَرَضِ وَضَعْفِهِ فَإِذَا خَضَعْنَ بِالْقَوْلِ طَمِعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ. وَالْقُرْآنُ شِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَمَنْ فِي قَلْبِهِ أَمْرَاضُ الشُّبُهَاتِ وَالشَّهَوَاتِ.(١)

❁ وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في "تفسيره" : أي: مرض شهوة الزنا، فإنه مستعد، ينظر أدنى محرك يحركه، لأن قلبه غير صحيح ؛ فإن القلب الصحيح ليس فيه شهوة لما حرم الله، فإن ذلك لا تكاد تُميلُه ولا تحركه الأسباب، لصحة قلبه، وسلامته من المرض.

بخلاف مريض القلب، الذي لا يتحمل ما يتحمل الصحيح، ولا يصبر على ما يصبر عليه، فأدنى سبب يوجد، يدعوه إلى الحرام، يجيب دعوته، ولا يتعاصى عليه ... ودل قوله: ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ مع أمره بحفظ الفرج وثنائه على الحافظين لفروجهم، والحافظات، ونهيه عن قربان الزنا، أنه ينبغي للعبد، إذا رأى من نفسه هذه الحالة، وأنه يهش لفعل المحرم عندما يرى أو يسمع كلام من يهواه، ويجد دواعي طمعه قد انصرفت

---

(١) "مجموع الفتاوى" (٩٥/١٠).

إلى الحرام، فَلْيَعْرِفْ أن ذلك مرض. فَلْيَجْتَهِدْ في إضعاف هذا المرض وحسم الخواطر الردية، ومجاهدة نفسه على سلامتها من هذا المرض الخطر، وسؤال الله العصمة والتوفيق، وأن ذلك من حفظ الفرج المأمور به .اهـ

❁ وقال الطبري في "تفسيره" : فيطمع الذي في قلبه ضعف، فهو لضعف إيمانه في قلبه، إما شاكّ في الإسلام منافق، فهو لذلك من أمره يستخفّ بحدود الله، وإما متهاون بإتيان الفواحش.

البعد عن كل ما يثير الشهوة ويحرك الغريزة

ومن العواصم البعد عن كل ما يثير الشهوة ويحرك الغريزة لا بد لمن أراد لنفسه ولدينه السلامة أن يبتعد عن المحرمات وما يثير الشهوات و يحرك النفوس، ويدعو إلى انتكاس الفطرة ويدفع إلى الفجور والبغاء فإن الميل الفطري بين الرجل والمرأة ميلٌ عميق، وإثارته في كل حين تزيد من عرامته، فالنظرة تثير، والحركة تثير، والضحكة تثير، والدعابة تثير، وألفاظ العشق والغزل ووصف المحاسن تثير و النظر إلى العورات ومس أجزاء الجسم وتدليكها يثير والتفكير في النساء وتخيل صورهن يثير ومخالطة النساء، أو التحدث معهن يثير والأغاني الفاتنة، و الأشرطة الماجنة، و رؤية الصور و الأفلام الخليعة! وما شابهها فكل هذه وسائل لإثارة الشهوات وبالتالي فإنها تؤدي إلى فتن ومنكرات وتزرع في القلوب محبة الزنا والفساد وطلب المحرمات والشرور وتسبب الاندفاع إلى ما لا يحل ، والطريق المأمون هو الابتعداد عن كل ما يثير الشهوة مما ذكر وغيره ، وهذا هو المنهج الذي يختاره الإسلام، مع تهذيب النفس، وتشغيل الطاقة والقوى بهموم أخرى نافعة من أمور الدنيا والآخرة ، والتضرع إلى الله تعالى بالدعاء ، والإكثار من النوافل التي تملأ على العبد فراغه ، لأن النفس إن لم يشغلها صاحبها بالحق شغلته بالباطل ولا بد نعوذ بالله من شرور أنفسنا.

الممارسة العملية والتطبيق لكل ما سبق

ومن العواصم الممارسة العملية والتطبيق فكل ما سبق من العواصم يظل نظريا حتى تطبقه على أرض الواقع وإلا لا فائدة أبدا من معرفة العواصم السابقة إذا لم توطن نفسك على ممارستها عمليا ثم إن الممارسة العملية تشعرك أن هذا الأمر مقدور عليه وأنه غير مستحيل بل تجد من اللذة والحلاوة ما لا يجدها من لم يفعل ذلك نسأل الله التوفيق والإعانة.

الإكثار من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله مع استشعار معناها

ومن العواصم الإكثار من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله مع استشعار معناها قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : لا حول ولا قوة إلاّ بالله (أي) :لا حول بنا على العمل بالطاعة إلاّ بالله، ولا قوة لنا على ترك المعصية إلاّ بالله رواه ابن أبي حاتم.(١)

وروي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنَّه قال: في معناها أي لا حول عن معصية الله إلاّ بعصمته، ولا قوة على طاعته إلاّ بمعونته.(٢)

❁ قَالَ الْخطابِيّ: هَذَا أحسن مَا جَاءَ فِيهِ. (٣)

❁ وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في معرض حديث له عن العشق، وعلاجه: **(وليكن هجيراه** – أي دأبه وديدنه - لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فإنه بها يحمل الأثقال ويكابد الأهوال وينال رفيع الأحوال.(٤)

---

(١) أورده السيوطي في "الدر المنثور" (٥ / ٣٩٣).

(٢) ذكره النووي في "شرحه لصحيح مسلم" (١٣ / ٢٦).

(٣) "نيل المآرب" (١ / ١١٨) و"كشاف القناع" (١ / ٢٤٦) و"نيل الأوطار"(٢ / ٥٣).

(٤) "مجموع الفتاوى"(١٠/ ١٣٧) .

❁ وقال تلميذه ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : وهذه الكلمة لها تأثير عجيب في معالجة الأشغال الصعبة، وتحمل المشاق، والدخول على الملوك، ومن يخاف، وركوب الأهوال.[١]

تذكر أن من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه

ومن العواصم تذكر أن من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه وقد قال تعالى : ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق/٢- ٣] .

وفي مسند الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ بسند صحيح أن الرسول ﷺ قال : «**إنك لن تدع شيئا اتقاء الله جل وعز ألا أعطاك الله خيرا منه**».[٢]

وهذا يعمُّ مَنْ تَرَك الحرام ومن ترك المشتبه فيه .

❁ قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : الجزاء من جنس العمل. فمن غض بصره عما حرم الله عز وجل عليه عوضه الله تعالى من جنسه ما هو خير منه، فكما أمسك نور بصره عن المحرمات أطلق الله نور بصيرته وقلبه، فرأى به ما لم يره من أطلق بصره ولم يغضه عن محارم الله تعالى، وهذا أمر يحسه الإنسان من نفسه ؛ فإن القلب كالمرآة، والهوى كالصدأ فيها ؛ فإذا خلصت المرآة من الصدأ انطبعت فيها صورة الحقائق كما هي عليه ، وإذا صدئت لم ينطبع فيها صورة المعلومات. فيكون علمه وكلامه من باب الخرص والظنون. انتهى كلامه[٣]

❁ وقال العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ : في "حجاب المرأة المسلمة" [٤] :ولهذا يقال : إن غض البصر عن الصورة التي ينهى عن النظر إليها : كالمرأة والأمرد الحسن يورث ذلك

---

(١) "الوابل الصيب" (٧٧).

(٢) صححه الشيخ مقبل رحمه الله في "الصحيح المسند" رقم (١٤٨٩) .

(٣) "إغاثة اللهفان"(٤٨/١) .

(٤) (ص٤٦).

ثلاث فوائد جليلة القدر :

إحداها : حلاوة الإيمان ولذته التي هي أحلى وأطيب مما تركه لله " فإن من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه . (١)

وأما الفائدة الثانية من غض البصر : فهو يورث نور القلب والفراسة قال تعالى عن قوم لوط : ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الحجر: ٧٢] فالتعلق بالصور يوجب فساد العقل وعمى البصيرة وسكر القلب بل جنونه .

وذكر الله سبحانه آية النور عقيب آيات غض البصر فقال : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [النور: ٣٥] وكان شاه بن شجاع الكرماني (٢)لا تخطئ له فراسة وكان يقول : (من عمر ظاهره باتباع السنة وباطنه بدوام المراقبة وغض بصره عن المحارم وكف نفسه عن الشهوات وذكر خصلة سادسة أظنه(٣) هو أكل الحلال : لم تخطئ له فراسة ، والله تعالى يجزي العبد على عمله بما هو من جنس عمله فيطلق نور بصيرته ويفتح عليه باب العلم والمعرفة والكشوف ونحو ذلك مما ينال ببصيرة القلب.

الفائدة الثالثة : قوة القلب وثباته وشجاعته فيجعل الله له سلطان البصيرة مع سلطان الحجة فإن الرجل الذي يخالف هواه يفرق الشيطان من ظله ولهذا يوجد في المتبع هواه من ذل النفس وضعفها ومهانتها ما جعله الله لمن عصاه وإن الله جعل العزة لمن أطاعه والذلة لمن عصاه

قال الله تعالى : ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ

---

(١) قلت :- القائل الألباني رحمه الله - هذا من حديث رواه أحمد بسند صحيح اهـ .أقول سبق لفظه عند أحمد .

(٢) قلت :-القائل الألباني رحمه الله -هو من رجال "الحلية" لأبي نعيم ترجم له (١٠ / ٢٣٧ - ٢٣٨) وذكر أنه كان من أصحاب أبي تراب النخعي . ولم يذكر وفاة .

(٣) هذا من المصنف وكأنه نقله من حفظه كما هي عادته ولفظه في "الحلية" : وعود نفسه أكل الحلال .

﴿ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨] وقال تعالى :﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]

ولهذا كان في كلام الشيوخ : الناس يطلبون العز بأبواب الملوك ولا يجدونه إلا في طاعة الله .

۞ وكان الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول : وإن هملجت بهم البراذين وطقطقت بهم البغال فإن ذل المعصية في رقابهم أبى الله إلا أن يذل من عصاه ومن أطاع الله فقد والاه فيما أطاعه فيه ومن عصاه ففيه قسط من فعل من عاداه بمعاصيه

وفي دعاء القنوت : «**إِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، وَلَا يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ**»(١)

وأما أهل الفواحش الذين لا يغضون أبصارهم ولا يحفظون فروجهم فقد وصفهم الله بضد ذلك : من السكرة والعمه والجهالة وعدم العقل وعدم الرشد والبغض وطمس الأبصار هذا مع ما وصفهم به من الخبث والفسوق والعدوان والإسراف والسوء والفحش والفساد والإجرام فقال عن قوم لوط :﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [النمل: ٥٥] فوصفهم بالجهل وقال :﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢] ، وقال الله سبحانه :﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ [هود: ٧٨] ، وقال :﴿لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ [يس: ٦٦] ، وقال :﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [الأعراف: ٨١] ، وقال :﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٤] وقال :﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٤] وقال :﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾ [العنكبوت: ٢٩] إلى قوله :﴿ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٠] وقوله :﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ [الذاريات: ٣٤] بل قد ينتهي النظر والمباشرة بالرجل إلى الشرك كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] ولهذا

---

(١) والحديث صحيح مخرج في "إرواء الغليل" (٤٢٩) ، و"الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين" (٣٠٨).

لا يكون عشق الصور إلا من ضعف محبة الله وضعف الإيمان والله تعالى إنما ذكره في القرآن عن امرأة العزيز المشركة وعن قوم لوط المشركين والعاشق المتيم يصير عبدا لمعشوقه منقادا له أسير القلب له . اهـ

خاتمة

وأخيرا أخي المسلم قف وتأمل طويلا مع نفسك وفكر مليا في عاقبة الحال

وإذا كنت تستحيي من أن يراك مخلوق ضعيف على معصية ، فكيف تجعل الله تعالى أهون الناظرين إليك ؟!

أخي المسلم وفقك الله أما علمت أن الله يراك ، وأن ملائكته تحصي عليك، وأن جوارحك غدا ستنطق بما كان ؟

أخي رعاك الله اعتبر بما أصبح عليه حالك بعد المعصية : هم في القلب ، وضيق في الصدر ، ووحشة بينك وبين الله ، ذهب الخشوع ومات قيام الليل ، وهجر الصوم، فقل لي بربك ما قيمة هذه الحياة ؟كل نظرة تنظرها إلى هذه النوافذ الشيطانية، تنكت في قلبك نكتة سوداء ، حتى يجتمع السواد فوق السواد ، ثم الران الذي يعلو القلب، فيحرمك من لذة الطاعة ، ويفقدك حلاوة الإيمان .

قال النبي ﷺ : «**إِنَّ العَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ**[1] **قَلْبُهُ،-أي نُقي وطُهر- وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ،**

(١) جاء بلفظ : سقل ، وجاء بلفظ صقل .

وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ» :﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين: ١٤][(١)].

فكن ممن نزع واستغفر وتاب ، وأكثر من التضرع لله تعالى أن يُطهر قلبك وأن يُحصن فرجك ، وأن يُعيذك من نزغات الشيطان. واجتنب كل وسيلة تدعوك أو تذكرك بالحرام ، إن كنت صادقا راغبا في التوبة

فبادر بإخراج الدش من بيتك ، واقطع صلتك بكل محرم واعلم أن خير وسيلة تعينك على ترك ما اعتدته من الحرام، أن تقف عند الخاطرة والهم والتفكير ، فادفع كل خاطرة تدعوك للمشاهدة ، أو الوقوع في المحرم قبل أن تصبح رغبة وهمّا وقصدا ثم فعلا.

❁ قال بعضهم: الخطوة الأولى في الباطل إن لم تدفع أورثت الرغبة ، والرغبة تورث الهم ، والهم يورث القصد ، والقصد يورث الفعل ، والفعل يورث البوار والمقت ، فينبغي حسم مادة الشر من منبعه الأول وهو الخاطر ، فإن جميع ما وراءه يتبعه.

وهذا مأخوذ من قوله تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۚ ﴾ [النور: ٢١] واحرص على الرفقة الصالحة ، واحرص على أداء الصلوات في أوقاتها ، وأكثر من نوافل العبادة ، وتجنب الخلوة والتفكير في الحرام ما أمكن .

والخلاصة في العلاج فتح منافذ الخير ، وسد منافذ الشر .

نسأل الله أن يرزقنا قلبا سليما من الشهوات المحرمة وأن يوفقنا وجميع المسلمين للتوبة الخالصة النصوح وأن يجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن وأن يتوفانا مسلمين ويلحقنا بالصالحين ، والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

حرر في ليلة السبت ٩/شوال /١٤٣٨ هـ

---

(١) رواه الترمذي (٣٢٥٧) وابن ماجة (٤٢٣٤) وحسنه الألباني في "صحيح ابن ماجه" (٣٤٢٢) ، والعلامة الوادعي في "الصحيح المسند"(١٤٣٠) .

فهرس الموضوعات

المقدمة ٥
العواصم المنجية بإذن الله ١١
تقوى الله عز وجل ١١
دوام مراقبة الله تعالى في السر والعلن ١٢
الخوف من الله تعالى ١٥
رجاء ثواب الله تعالى ١٧
الحياء من الله جلت عظمته ١٨
معرفة عواقب اللذات المحرمة ٢١
المسارعة إلى الخيرات والتزام الطاعة والصلاح ٢٥
عبادة الله وحده لا شريك له ٢٧
الزواج لمن استطاع الباءة ٢٩
الحذر الشديد واليقظة الكبيرة والانتباه العظيم من فتنة النساء ٣٠
غض البصر عن رؤية المحرمات وما يثير الشهوات ٣٣
الفرار من أماكن الفتن ٣٩
الحذر من الوقوع في فخ المعاكسات ٤٢
آثار المعاكسة السيئة ٥٠
الحذر من الخلوة المحرمة بالنساء الأجنبيات والمردان ٥٦
الابتعاد عن الاختلاط ٦٢
الصيام بكثرة ٦٤
تجديد التوبة الصادقة ٦٦
محاسبة النفس ٦٧
مجاهدة النفس ٦٩
كثرة الذكر بالقلب واللسان ٧٥
كثرة الدعاء والابتهال والتضرع إلى الله والاستغاثة به ٧٦
كثرة تلاوة القران وتدبر آياته ٧٨
صحبة الصالحين وأهل الفضل والاستقامة ٧٨
حضور مجالس أهل العلم والصبر على ذلك ٧٩

الحذر من عاقبة إيذاء المسلمين والمسلمات في أعراضهم ٨٠
الحياء من الناس والخوف من الفضيحة في الدنيا والآخرة بِهَتْكِ الستر ٨١
الحذر من شماتة الأعداء ٨٣
الفزع إلى الصلاة والانكباب عليها ٨٤
ترك سماع الغناء لأنه بريد الزنا ٨٧
تذكر ما أعد الله لأهل العفاف من نعيم في الجنة وما أعد لأهل الفجور من عذاب في النار .. ٩٠
تذكر الموت ومرارته وانقطاع الأعمال ٩١
التحلي بمكارم الأخلاق ٩٣
ملء الفراغ بما هو مفيد ٩٥
ترك الأحاديث الماجنة والنكات الفاحشة وما يثير الشهوات ٩٦
ترك قراءة الكتب المثيرة المثيرة والأشعار الفاضحة والمجلات الخليعة ٩٧
تسهيل أمور الزواج بين الشباب والفتيات ٩٧
قراءة قصص أهل العفاف والنزاهة من الرجال والنساء ٩٩
التفكر في العرض على الله تعالى ومناقشته وتكليمه وأَخْذِ الكُتُب ١٠٠
التفكر في شهادة جوارحنا علينا ١٠٢
التفكر في شهادة المكان الذي تعصي الله فيه عليك ١٠٢
عيادة المرضى وتشييع الجنائز وزيارة القبور ومشاهدة المحتضرين ١٠٣
الانتقال من مكان المعصية إلى مكان الطاعة ١٠٣
قطع الخواطر الرديئة والتلهي عن ذلك بطاعة الله ١٠٤
تذكر ما لا يستحسن من المرأة ١٠٧
معرفة أضرار الزنا وغيره الخطيرة ١٠٨
التفكر فيما يفوته الزنا وغيره من الفواحش المحرمة من فضائل وفيما يجلبه من رذائل ١١٤
التفكر في القصاص يوم القيامة في حق من أساء إليهم ١١٤
الحذر التام من نزول العذاب في الدنيا والابتلاء بالمصائب الشديدة ١١٥
استعمال بعض الأغذية التي تقلل الباءه (الشهوة) ١١٧
إعمال الفكر والإصغاء إلى واعظ القلب ١١٨
التفكر في أن لذة المعصية لا تدوم سوى لحظات ١١٩
التفكر في أن الجزاء من جنس العمل ١٢١
إتيان الرجل امرأته إذا وقع في قلبه شهوة النساء ١٢٢

تذكر أن لكل معصية عقوبة ١٢٣
تذكر أن المعاصي مستقبحه طبعا ١٢٦
تذكر أنه قد يحال بينك وبين التوبة من هذه المعصية ١٢٧
تذكر أن القابض على دينه في هذا الزمان كالقابض على الجمر ١٢٧
تذكر دائما أن لك قرينًا كافر ملازم يزين لك المعصية ١٢٨
كثرة الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم كلما هممت بمعصية ١٣٠
تذكر أن لك نفسًا أمارة بالسوء موسوسة به داعية إليه ١٣٢
تذكر أن النفس بطبيعتها تؤثر الشهوات واللذات الحاضرة ١٣٣
عدم الاستهانة بمحقرات الذنوب. ١٣٥
عدم الانفراد والوحدة. ١٣٥
قراءة كتب أهل العلم المعتبرين المفردة لهذا الغرض..... ١٣٦
تذكر عظمة الله وجلاله ١٣٧
الحذر والانتباه من مغالطة النفس..... ١٣٩
شدة الحذر في حالة غفلة النفس وضعف الإيمان ١٤٠
تذكر أنه لا يمكن أن تكون من أئمة الدين وأنت ضعيف في جانب الشهوات ١٤٠
تذكر أن الدنيا سجن المؤمن ١٤١
الحرص التام على صلاح القلب وتقويته ١٤٢
البعد عن كل ما يثير الشهوة ويحرك الغريزة..... ١٤٣
الممارسة العملية والتطبيق لكل ما سبق ١٤٤
الإكثار من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله مع استشعار معناها ١٤٤
تذكر أن من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه..... ١٤٥
خاتمة ١٤٨
فهرس الموضوعات ١٥٠